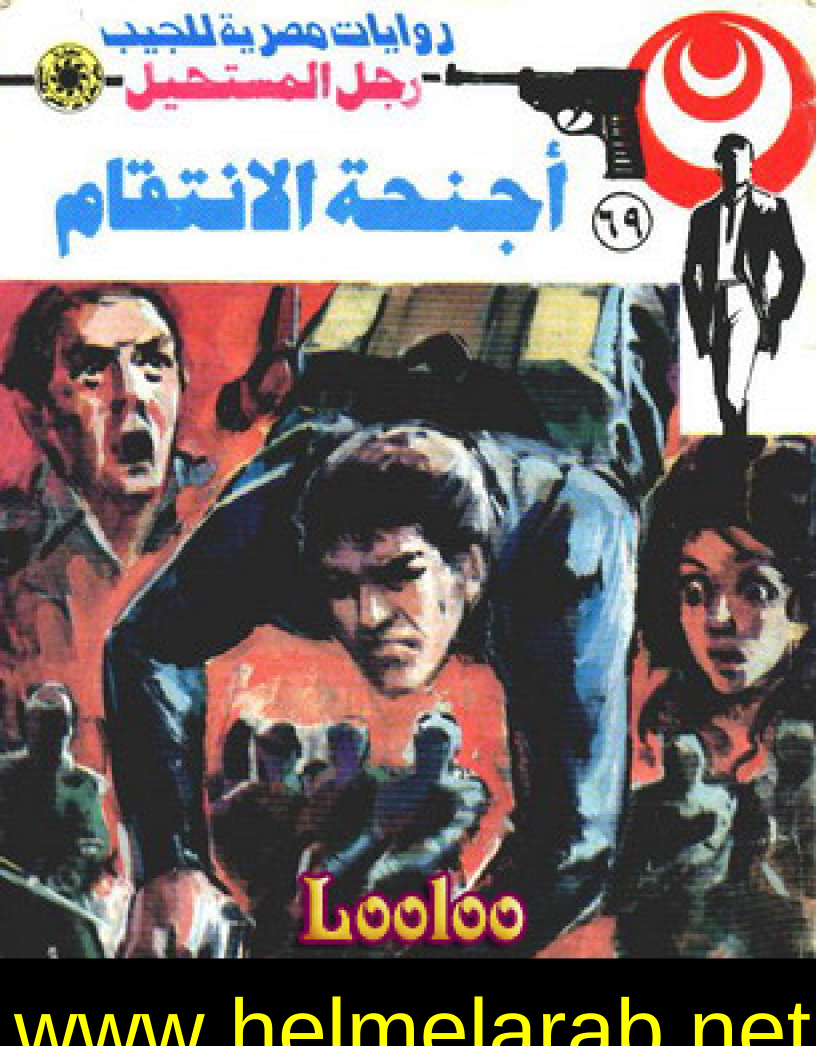

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
أجنحة الانتقام
٦٩
Looloo

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ النسر ..

شريط سريع من الذكريات القريبة ، استعرضه ذهن (أدهم صبرى) ، وهو يهبط فى سرعة بالغة ، نحو (قلعة الصقور) ..

شريط يبدأ من حيث بدأت مغامرته ..

منذ فوجئ بمدير المخابرات المركزية الأمريكية (توماس ألبى) ، يأتى لزيارته ، فى منزله فى حىّ (مدينة المهندسين) ، فى (القاهرة) ، وأدهشه أن هذا الأخير يطلب تعاونه ، على نحو خاصّ وسرّىّ ، للقضاء على الجنرال (دافيد أوكونور) ورجاله ، الذين يُطلق عليهم اسم (صقور أوكونور) ، مقابل قائمة كاملة بأسماء كل عملاء (الموساد) فى الشرق الأوسط ..

والجنرال (أوكونور) وصقوره هم فرقة خاصّة ، أعدّها الأمريكيون ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لمقاومة وصدّ أى غزو سوفيتى لبلادهم ، ثم حدث ، بعد توقيع معاهدة نزع الأسلحة النوويّة ، أن صدر قرار بحل الفرقة ، وإحالة أفرادها إلى التقاعد ، فثارت ثائرة (أوكونور) وصقوره ، وتمرّدوا ، وأعلنوا

العصيان من قلعتهم ، التى تعلو قمة جبل مرتفع ، على مشارف العاصمة (واشنطن) ، والمزوّدة بقنبلة ذرّيّة قويّة ، وثلاثة صواريخ بعيدة المدى ، ذات رءوس نوويّة ..

ولم يكن أمام الحكومة الأمريكية ، خشية التورُّط فى حرب نوويّة مهلكة ، سوى الرضوخ لمطالب (أوكونور) وصقوره ، فرفعت ميزانيتهم إلى مليار دولار دفعة واحدة ، وأصدرت أوامرها إلى كل جهات الأمن ، بمنع الاحتكاك بهم ، أو التعرُّض لهم ، مهما فعلوا ..

وهنا تحوّل (أوكونور) وصقوره إلى طغمة من الطغاة ، ينتهكون كل الحرمات والقوانين ، ولم يعُد هناك مفرّ من التصدّى لهم ، وإيقافهم عند حدّهم .. ولكن كيف ؟..

إن (أوكونور) ، كرجل مخابرات سابق ، يعرف كل عملاء المخابرات الأمريكية ، وكل وسائلهم ، وطرقهم ؛ والسبيل الوحيد لمباغتته ، وتدمير مخططاته ، هو أن يتصدّى له رجل من خارجهم ..

وكان الرجل المثالى ، لمثل هذه المهمّة ، كما قدّرت المخابرات المركزية الأمريكية ، هو (أدهم صبرى) ..

ولقد قبل (أدهم) المهمّة ، طمعًا فى الحصول على قائمة

عملاء (الموساد) ، التى ستوفر الكثير من الجهد والتفوُّق لمخابرات وطنه وأمّته ..

واصطحب (أدهم) زميلته (منى) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ..

وبدأ الصراع ..

بدأ فى ملهًى فاخر ، فى قلب (نيويورك) ، حيث تصدّى (أدهم) لـ(أوكونور) علانيةً ، واشتبك هُوَ و (منى) فى قتال ضد عشرة من صقوره ، ولقّناهم درسًا قاسيًا ، أثار غضب (أوكونور) وجنُونه ، ورغبته فى تحطيم (أدهم) و (منى) ..

وفى الجولة الثانية ، حاول بعض (صقور أوكونور) ، بقيادة ضابطه الأوّل (دوايت) ، اقتحام جناح (أدهم) و (منى) ، فى فندق (كونتيننتال) ، ولكنهم تلقّوا هناك هزيمة ثانية ، وتسبّبوا فى إصابة كتف (منى) ، وذراعها اليسرى ، بأربع رصاصات ، على الرغم من وجود ملازم الشُّرطة الزنجى الأمريكى (براون) ..

وبعد معركة عنيفة ، نجح (أدهم) فى نقل (منى) إلى المستشفى ، حيث صدمه تقرير الأطبّاء ، الذين نجحوا فى استخراج الرّصاصات الأربع من جسدها ، ولكنهم أكّدوا أن ذراعها اليسرى ستصاب ، من جرّاء ذلك ، بشلل دائم ..

وتفجّر غضب هائل عنيف فى أعماق (أدهم صبرى) ، فهاجم شقة (أوكونور) الفاخرة فى (نيويورك) ، وحطّمها تمامًا ، ومعها حرّاسها العشرة ، فى نفس الوقت الذى توصّل فيه (أوكونور) إلى حقيقته ، وأرسل ضابطه الأوّل (دوايت) ، لإحضار واحد من أخطر خصوم (أدهم) ..

وأخيرًا ، استعان (أدهم) بالملازم (براون) ، الذى يجيد قيادة الطائرات ، وانطلقا بطائرة صغيرة نحو قلعة (صقور أوكونور) ، وتلقّت الطائرة تحذيرًا من الصقور ، بعدم الاقتراب من مجالهم الجوّىّ الخاصّ ، ولكنهما تجاهلا التحذير لحظات ، فقفز خلالها (أدهم) بمظلّته من الطائرة ، نحو (قلعة الصقور) ..

وعلى ارتفاع ثلثمائة متر ، وعلى أقل مدى يسمح بفتح مظلّة الهبوط ، جذب (أدهم) حبل مظلّته ، ولكنها لم تستجب ..

لم تستجب أبدًا(*) ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (قلعة الصقور) .. المغامرة رقم (٦٨) .

كان (أدهم) يندفع نحو الأشجار المحيطة بـ (قلعة الصقور) ، بسرعة اثنين وثلاثين قدمًا فى الثانية الواحدة(*) ، وبدا له لحظة أن الأمتار الباقية ، قبل ارتطامه بها ، وتمزُّق جسده فوقها ، لا تكفى حتى للتفكير ، إلاّ أن عقله ، الذى اعتاد التفكير فى سرعة مذهلة ، وفى أعقد الظروف ، جعله يفرد ذراعيه عن آخرهما ، كنسر ضخم ، ويتلقّى دفع الهواء كله فى صدره وبطنه ، محاولاً التخفيف من سرعة هبوطه ، وتحويل اتجاهه بعيدًا عن قمم الأشجار ..

وفى حركة سريعة ، أمال ذراعيه خلف ظهره ، وجذب غطاء حقيبة المظلّة ، بكل ما يملك من قوة ..

وقامت ذراعا (أدهم) بعمل حبل الإطلاق ، وانتزعتا غطاء حقيبة المظلة ، فقفزت المظلة نفسها خارجها ، وارتفعت فوق رأس (أدهم) ، ثم انفردت دفعة واحدة ، وجذبت خيوطها القويّة جسد (أدهم) ، وهو على ارتفاع لا يتجاوز مائة وعشرين مترًا ، من قمم الأشجار الكثيفة ، المحيطة بـ (قلعة الصقور) ..

وعلى الرغم من انخفاض سرعة هبوط (أدهم) كثيرًا ؛

(*) عجلة الجاذبية الأرضية .



وقبل أن يؤدى ذلك إلى تمزّق عضلاته ، كان ينتزع خنجره ، ويمزّق الخيوط التى تربطه بالمظلّة .

بسبب فتح المظلّة ، إلا أن المسافة لم تكن تكفى لتأمين هبوط هادئ ؛ لذا فقد ثنى (أدهم) ركبتيه ، واستعدّ لتلقّى الصّدمة ، وشعر بآلام عنيفة فى ظهره وساعديه ، حينما ارتطم جسده بأغصان الأشجار ، وواصل هبوطه فى قوّة ..

ثم توقّف جسده فجأة فى عنف ، حينما تعلّقت المظلة بأفرع إحدى الأشجار ، وأوقفت هبوطه دفعة واحدة ، وكان هو يستعدّ لذلك ، فلم تكد المظلّة تتعلّق بالأفرع ، وتخفّف من سرعة هبوطه بغتة ، وقبل أن يؤدّى ذلك إلى تمزّق عضلاته ، كان ينتزع خنجره ، ويمزّق الخيوط التى تربطه بالمظلّة ، ويترك جسده يهوى خرًّا من ارتفاع يقرب من أربعة أمتار ..

ولولا مرونة جسده الفائقة ، وتدريباته المتفوّقة على إجادة السقوط ، من خلال مزاولته لكل رياضات الدفاع عن النفس ، لكان ذلك السقوط الأخير وحده يكفى تمزيقه إربًا ، ولكن هذا لم يمنع تلك الآلام الرهيبة ، التى اجتاحت جسده كله ، حينما هبط على قدميه ، ثم ترك جسده يتدحرج لدقيقة كاملة ، وهو يضمّ ركبتيه إلى صدره فى قوّة ، ويدفن رأسه ووجهه وسطهما ..

وأخيرًا توقّف جسده عن الحركة ، وأيقن ـــ على الرغم

من آلامه ـــ من أنه قد نجا ، فرقد على ظهره فى سكون ، وهو يلهث ، حتى هدأت أنفاسه ، وسكنت آلامه شيئًا فشيئًا ، ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يغمغم :

ـــ يبدو أن القدر يصرّ على أن أمضى فى طريقى ، لتحطيمك مع صقورك أيها الجنرال الوغد .

وفى لحظة واحدة ، استعاد جسده نشاطه ، وتناسى شبح الموت ، الذى أحاط به منذ لحظات ، وهبّ واقفًا ، وراح يختبر مدفعيه الآليين ، وقنابله الخمس ، ليتأكّد من صلاحيتها للقتال ..

وليبدأ جولة جديدة ، مع (صقور أوكونور) ..

* * *

« هبط بمظلة !!.. » ..

غمغم (أوكونور) بتلك العبارة فى دهشة بالغة ، وهو يحدّق فى وجه أحد رجاله ، الذى نقل إليه الخبر ، فاستطرد الرجل فى احترام ، وهو يحرص على الوقوف أمام قائده فى ثبات عسكرى :

ـــ نعم يا سيّدى الجنرال .. لقد دارت الطائرة فوق القلعة دورة واحدة ، ثم قفز منها رجل ، ولكن مظلّته لم تفتح ، حتى

ارتفاع مائة وعشرين مترًا ، وهذا يعنى أنه قد تحطّم حتمًا ، وسط الأشجار المحيطة بنا ..

عقد (أوكونور) حاجبيه فى ريبة ، وهو يحدّق فى وجه الرجل ، الذى أردف فى خفوت :

ـــ لقد راقبنا هبوطه بالمناظير ، ذات الأشعة دون الحمراء يا سيّدى الجنرال .

سأله (أوكونور) فى انفعال :

ـــ وهل أيقنتم من تحطّم جسده وسط الأشجار ؟

أجابه الرجل فى توتّر :

ـــ لسنا نحتاج إلى ذلك يا سيّدى الجنرال ، فمن المعروف أن مظلات الهبوط تفقد فاعليتها ، عندما تُفتح على ارتفاع يقلّ عن ثلثمائة متر ، و .....

قاطعه (أوكونور) فى حدّة مفاجئة :

ـــ وماذا ؟!.. أهذا ما لقّنتكم إيّاه ؟.. أهذا ما تعلمتموه منّى ؟.. لا تبع جلد الدّب قبل صيده أيها الغبىّ .. أحضر جثة ذلك المظلّىّ إلى هنا أوّلًا ، ثم قل إنك واثق من مصرعه .

احتقن وجه الرجل ، وهو يغمغم فى اضطراب :

ـــ لقد تصوّرت يا سيّدى أنه .....

عاد يقاطعه مرّة أخرى :

ـ لا مجال هنا للتصوُّرات أيها الصقر .. إن بقاءنا يعتمد على الحقائق .. الحقائق وحْدها .

وامتلأت نبراته بالسخط ، وهو يستطرد :

ـ ولو أن ذلك المظلّيّ هو (أدهم صبرى) ، فلا ينبغى أبدًا أن نؤمن بمصرعه ، قبل أن نرى جثته بأعيننا .. هكذا تتقرّر نهاية الشياطين ..

* * *

تحرّك (أدهم) فى حذر ، نحو أسوار القلعة الشاهقة ، وتوقّف خلف جذع إحدى الأشجار ، وهو يتفحّص المكان بعينيه الخبيرتين ، المدرّبتين ، وهو يغمغم :

ـ إن المكان يبدو أشبه بحصن حصين ، يحتاج إلى لواء مدرّع كامل ؛ لاقتحامه .

بحثت عيناه طويلًا عن منفذ إلى داخل القلعة ، ولكن ذلك بدا له مستحيلًا ، حتى أنه عاد يغمغم فى سخرية :

ـ يبدو أنك قد تورّطت حقًا هذه المرّة يا (أدهم) .. إن اقتحام هذا الحصن يتطلّب منك أن تتحوّل إلى قنبلة ذرّيّة ، أو .....

وفجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، غمرت المكان أضواء قويّة ، بهرت عينيه لحظات ، وانبعث أزيز مخيف ، تحرّك إثره جدار من جدران القلعة ، كاشفًا مدخلًا كبيرًا ، خرج منه ما يقرب من عشرين رجلًا ، يرتدى كل منهم زىّ القتال الكامل ، ويحمل عتادًا وأسلحة متطوّرة ، ورأى (أدهم) الرجال العشرين يتجهون إلى حيث يختبئ مباشرةً ، وأحدهم يهتف فى صرامة :

ـ لقد كشفنا أمرك أيها الدخيل .. استسلم فورًا ، أو تتحوّل إلى كتلة من اللّهب .

وبإشارة من يده ، ارتفعت فوّهات عشرين قاذفة لهب نحو الشجرة ، التى يختبئ خلفها (أدهم صبرى) ، واستعدّ (صقور أوكونور) لفتح أبواب الجحيم ..

* * *

لم يكن من الممكن أن يبقى (أدهم) فى مكانه ، وهؤلاء الصقور يستعدون لإطلاق اللّهب نحوه ، وكان من العسير أن يجد مخبأ آخر ، تحت تلك الأضواء المُبهرة ، التى تحيل ظلام الليل نهارًا ، ولكن كان المستحيل بعينه هو أن يستسلم (أدهم) ..

وهكذا لم يَعُد أمام (أدهم) خيارٌ .

صحيح أن (أدهم صبرى) يكره القتل ، وإراقة الدماء ، إلّا أنه لا يتردَّد عن فعل ذلك ، حينما تقتضى الظروف إراقة دماء خصومه ، للحفاظ على دمائه هو ..

وهكذا بدأ (أدهم) القتال ..

برز من مكمنه فجأة ، وهو يشهر مدفعيه الآليّيْن فى وجوه الرجال العشرين ، وقاذفات لهبهم ، وأطلق الرصاصات فى سرعة ، ومهارة ، وإحكام ، وسخاء ..

وحصدت نيران مدفعيه عشرة رجال دفعة واحدة ، ولكن الباقين أطلقوا قاذفات اللهب على الفور ، فقفز (أدهم) يحتمى بجزع شجرة ضخمة ، ورأى النيران تندلع فى الأشجار المحيطة به ، وأغصان وجزع الشجرة ، التى يحتمى بها ، وشعر بحرارة الجحيم المحيط به ، فقفز مرّة أخرى ، وأطلق نيران مدفعيه ، فحصد خمسة رجال آخرين ، على حين انهمرت حوله رصاصات الصقور الآخرين ، الذين يعتلون أسوار القلعة ..

كان جحيمًا حقيقيًا ..

اندلعت النيران فى كل مكان ، وانهمرت الرصاصات من كل ركن ..

ووسط ذلك الجحيم ، ارتفع صوت (أوكونور) ، وهو يصرخ من فوق أسوار القلعة :

ـــ أريده حيًا .. أريده حيًا ..

وكم أثلج هذا الهتاف صدر (أدهم) ، الذى أوْلى الرجال ظهره ، وانطلق يَعْدو وسط الأشجار الضخمة المتكاثفة ، التى تحوَّلت بفعل قاذفات اللهب إلى كتلة من النيران ، وكأنما هى أشجار جحيم مستعر ..

واندفع عشرات الصقور من القلعة ، يطاردون خصمهم فى شراسة وإصرار ، وسط الجحيم ..

وفجأة .. وجد (أدهم) نفسه محاصرًا ، بما يقرب من ثلاثين رجلًا ، فاختار أضعف نقاط الحصار ، وأطلق نحوها النيران ، ولكن .....

هَوَت ضربة قويّة على مؤخرة عنقه ، وأخرى على عموده الفقرىّ .

وترنَّح ، ولكنه احتمل الألم ، وأطلق دفعة أخرى من النيران ، وهو يدور على عقبَيْه ، ويُلكِم الرجل الذى كال له الضربتيْن فى قوّة ، فيلقى به بعيدًا ..

ولكن ضربة أخرى هائلة ، هَوَت على رأسه ، وارتجَّ لها مُخُّهُ فى قوّة ..

ولم يحتمل جسده طويلاً هذه المرّة ..

كان الإرهاق يكتسح كل خليّة من خلاياه ، والألم يصنع أمام عينيه غشاوة رماديّة ، تقترب رُوَيْدًا رُوَيْدًا من اللون الأسود ..

وسقط (أدهم) على ركبتيه ، وحاول أن يطلق رصاصاته مرّة أخرى في عناد ، ولكنه لم يستطع ..

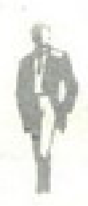
لقد سقط فجأة فاقد الوعي ..

سقط وسط الجحيم ..

ووسط الشياطين ..

شياطين (أوكونور) ..

* * *



٢ ـ بين مخالب الصقور ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقائق صباحًا ، حينما هبطت الطائرة القادمة من شمال (أوروبا) ، في مطار (نيويورك) ، ولم تتجاوز الساعة الثامنة والنصف ، حينما أنهى أحد ركّابها إجراءاته ، وغادر المطار ، واتجه نحو إحدى سيّارات الأجرة ، وهو يشير لسائقها ، ثم دلف إلى مقعدها الخلفيّ ، وزفر في عمق ، فسأله السائق في رتابة :

ـ إلى أين ؟

أجابه الرجل في هدوء :

ـ مستشفى (نيويورك) المركزي .

انطلق السائق بالسيّارة نحو المكان ، على حين أغلق الراكب عينيه ، واسترخى في المقعد الخلفيّ ، محاولاً ترتيب أفكاره ، واستعادة نشاطه ، بعد اثنتي عشرة ساعة من الطيران المتواصل ، عبْر المحيط ، إلّا أن السائق عاد يسأله بنفس الرّتابة ، وكأنما يسعى لبعض التّسرية عن نفسه ، خلال عمله المُمِلّ :

ـــ أهى زيارة لمريض ؟
غمغم الرجل فى تحوُّل :
ـــ بل لمداواته .
تطلّع السائق إلى وجه الرجل ، المنعكس فى مرآته ، وهو يسأله فى اهتمام :
ـــ أأنت طبيب ؟
أجابه الرجل فى اقتضاب :
ـــ نعم .
عاد السائق يتطلّع إلى مرآة سيّارته ، محاولاً أن يستشف جنسية الرجل من ملامحه ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، وكأنما الأمر لايعنيه ، وواصل قيادة السيّارة ، حتى وصل إلى مستشفى (نيويورك) المركزى ، فغادرها الرجل ، ونقد السائق أجره ، ومنحه جنية إضافيّة سخيّة ، ثم اتّجه نحو مكتب الاستقبال بالمستشفى ، وقال للفتاة التى تديره ، فى إنجليزية سليمة :
ـــ لديكم هنا مريضة مصريّة ، فى قسم الطوارئ ، تدعى (منى توفيق) ، ولقد أتيت لرؤيتها .
راجعت الفتاة بيانات الكمبيوتر الموضوع أمامها فى هدوء ، وقالت :

ـــ إنها فى الحجرة رقم (سبعة وثلاثين) .. أأنت أحد أقاربها ؟
شدّ الرجل قامته ، وهو يجيب فى هدوء :
ـــ بل طبيبها المعالج .
تطلّعت إليه الأمريكية فى اهتمام ، فاستطرد وهو يضع بطاقة خاصّة أمامها :
ـــ اسمى الدكتور (صبْرى) .. (أحمد صبْرى) ..

* * *

سقط (أدهم) فى غيبوبة عميقة ، وبئر سحيقة ، هَوَى فيها وهو يدور حول نفسه ، فى دوّامة عنيفة ، بدت وكأن لاقرار لها ..
ثم خفّت سرعة الهبوط ، وبدأ عقله يستعيد وعيه فى بطء ، ويسترجع إحساسه بما حوله ..
كان من الواضح أنه ما يزال حيًّا يُرزق ، ولكن معصميه مقيّدان أعلى رأسه ، بأغلال فولاذية قويّة ، تجبره على البقاء فى وضع رأسىّ ، على الرغم من غيبوبته ، على حين تحيط أغلال مماثلة بكاحليه ، وتثبته إلى الحائط نفسه ، داخل قبو رطب ..
وفى بطء وحذر ، فتح (أدهم) عينيه ، فطالعه وجه

(أوكونور) ، بابتسامته الشامتة ، وهو يقف على قيد متر واحد منه ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، ومرتديًا زيّه العسكرىّ ، وخلفه عدد من رجاله ..

وقاوم (أدهم) ذلك الصداع العنيف ، الذى يكتنف رأسه ، ليتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

ـــ لا ريب أننى قد قضيت نحْبى ، وأنّ هذا هو الجحيم ؛ لأننى أرى أمامى شياطين قبيحة الوجوه .

عقد (أوكونور) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى خبْرة ، وهو يقول :

ـــ إذن فأنت لا تفقد روحك الساخرة أبدًا .

أجابه (أدهم) فى مزيج من السخرية والتحدّى :

ـــ أبدًا .

هزّ (أوكونور) رأسه مرّة أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

ـــ أراهن أنك تشعر بالدهشة ؛ لأنك ما تزال على قيد الحياة يا مستر (أدهم) .

مطّ (أدهم) شفتيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـــ كلّا .. لقد اعتدت ذلك ، ولكن ما يدهشنى هو أنك تعلم اسمى الحقيقىّ .. كم كلّفك ذلك يا تُرى ؟

أجابه (أوكونور) فى هدوء :

ـــ فقط ما يستهلكه الكمبيوتر خلال ثلاث ساعات من العمل المتواصل .

وأبطأت الكلمات بين شفتيه ، وهو يحدّق فى عينَىْ (أدهم) ، مستطردًا :

ـــ ولقد عرفت كل شىء عنك .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وهو يقول :

ـــ أهنّئك .. يؤسفنى أن يدىّ مكبّلتان ، وإلّا ألهبت كفّىّ بالتصفيق لك .

شعر (أوكونور) بالحنق ؛ لسخرية (أدهم) المتصلة ، وأطل حنقه من عينيه وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـــ هل تعلم ما الذى فعلته بوحدتى يا مستر (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى تهكّم :

ـــ كلّا .. أخبرنى أنت .

لوّح (أوكونور) بذراعه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ لقد قتلت وأصبت ثلاثة وعشرين رجلًا من رجالى ، برصاصات مدفعيْك الآليّين ، وحطّمت أنوف وفكوك واحد وعشرين رجلًا آخرين ، أى أنك قد أجبرت أربعة وأربعين

صفرًا ، من (صفور أوكونور) على التقاعد المبكّر ، أى ما يساوى أربعة وأربعين فى المائة من وحدتى المقاتلة .

قال (أدهم) فى هدوء ساخر :

ـــ لا بأس .. الْحَق بهم ، وستحمل عندئذ لقب أبى أربعة وأربعين .

لم يبد على (أوكونور) أنه قد سمع ، أو فهم عبارة (أدهم) الساخرة ، وهو يستطرد :

ـــ والأدهى أنك قسمت الستة والخمسين رجلًا الباقين إلى فريقين متعارضيْن .. فريق منهم يرى ضرورة تعذيبك وقتلك ، انتقامًا لزملائهم ، والفريق الآخر يرى أنك أفضل مقاتل رأوه فى حياتهم ، وأنه من الخسارة أن نقتلك .

واستقرّ جالسًا فوق مقعد قريب ، وهو يُردِف فى هدوء :

ـــ والفريق الثانى هو الأكبر عددًا يا مستر (أدهم) ، وقواعد الديمقراطية تقتضى أن نطلق سراحك ، ولكن .....

صمت لحظة ، وهو يتطلع إلى ملامح (أدهم) ، وابتسامته الساخرة ، التى لم تفارق شفتيه ، ثم واصل فى حزم :

ـــ ولكنك رجل مخابرات .

أجابه (أدهم) فى برود :



صمت لحظة ، وهو يتطلّع إلى ملامح (أدهم) ، وابتسامته الساخرة ، التى لم تفارق شفتيه .

— لا علاقة لهذا بقتالنا أيها الوغد .

هبَّ (أوكونور) من مقعده بغتة ، وجذب (أدهم) من سترته فى عُنف ، وهو يهتف فى وجهه :

— لماذا تقاتلنا إذن ؟.. من طلب منك أن تفعل ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— أنت أيها الجنرال .. أنت أجبرتنى على مقاتلتك ، حينما أردت إجبارى على تناول (الشمبانيا) فى الملهى .

حدّق (أوكونور) فى وجهه فى دهشة ، وهو يغمغم :

— أنت كاذب .

ثم استطرد فى غضب :

— لا أحد يقاتل (صقور أوكونور) ، بكل هذه الشراسة ، لسبب تافه كهذا .

لم تفارق الابتسامة الساخرة شفتى (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— يبدو أنك لم تقرأ كل المعلومات عنّى أيها الجنرال .

تخلّت قبضة (أوكونور) عن سترته ، وهو يغمغم :

— بل فعلت .

واتجه إلى مقعده ، واستقرّ فوقه صامتا ، وكأنما يحاول السيطرة على غضبه وتوتره ، قبل أن يقول فى هدوء :

— إن ما علمته عنك مثير حقًا يا مستر (أدهم) ، فهو يجعلك أقرب إلى الأسطورة ، منك إلى رجل مخابرات مصرى ، وأصدُقك القول ، إننى لست أصدّق نصفه على الأقل ، فلا يوجد رجل واحد ، فى الكون كله ، يمكنه أن يمتلك كل القدرات والمهارات ، حتى ولو كان رجل مخابرات مثلك .

قال (أدهم) فى هدوء :

— إننى لم أعد رجل مخابرات الآن .

عقد (أوكونور) حاجبيه ، وهو يميل إلى الأمام ، ويسأله فى اهتمام :

— ماذا تقصد بقولك هذا ؟

عادت الابتسامة الساخرة إلى شفتَىْ (أدهم) ، وهو يقول :

— يبدو أنك تستقى معلوماتك عنّى من مصدر قديم أيها الجنرال ، فلقد سئمت عمل المخابرات منذ زمن قريب ، نظرًا للأجر الضئيل الذى تتقاضاه ، مقابل كل ما نتعرّض له من مخاطر ، فاحتلْتُ على إدارة المخابرات ، واختلست مليون دولار ، ثم فرَرْت مع زميلتى إلى هنا ، وكنّا ننوى قضاء ما تبقّى من عمرنا فى (نيويورك) .

ابتسم (أوكونور) فى سخرية هذه المرّة ، وهو يقول :
ــ من أجل مليون دولار فقط ؟!
مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :
ــ كانت تكفى كبداية ، فلقد قرّرت أن أستثمر مهاراتى وخبراتى فى العمل لحساب منظّمة قويّة هنا ، وتزعّم أحد فروعها .
اعتدل (أوكونور) ، وحكّ ذقنه بسبّابته وإبهامه ، وهو يسأله فى اهتمام :
ــ منظمات مثل ماذا ؟
كان ذلك الاهتمام ، الذى يلقى به سؤاله ، يعنى أن خدعة (أدهم) قد أفلحت ، وأن جنرال الصقور قد بدأ يميل إلى تصديقه ، فأخفى (أدهم) ابتسامته الساخرة فى أعماقه ، وهو يجيب فى هدوء :
ــ مثل (المافيا) مثلًا .
سأله (أوكونور) فى حدّة مباغتة :
ــ لماذا قاتلتنا إذن ؟
أجابه (أدهم) بابتسامة هادئة :
ــ وجدت أنها وسيلة مثالية ؛ لإثبات كفاءتى فى هذا المجال .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى بطء :
ــ أو للانضمام إلى الجنرال (أوكونور) .
ارتفع حاجبا (أوكونور) فى دهشة ، وهو يقول :
ــ للصقور ؟!
لم يجب (أدهم) بحرف واحد ، ولكن (أوكونور) استند إلى ظهر مقعده ، وهو يحكّ ذقنه بسبّابته وإبهامه مرّة أخرى ، وكأنما يفكّر فى الأمر ، وساد الصمت لحظات طوالًا ، قبل أن يعتدل (أوكونور) ، ويسأل (أدهم) فى هدوء :
ــ أتعلم شيئًا عن شروط الانضمام إلى (صقور أوكونور) ؟
أجابه (أدهم) فى هدوء :
ــ لست أخشى أيّة شروط .
نهض (أوكونور) من مقعده ، وأخذ يتجوّل فى أرجاء القبو ، وهو يقول :
ــ حينما صدر القرار الأوّل ، بإنشاء وحدة الصقور ، وعهد إلىّ الرئيس بتلك المهمّة ، طفت كل وحدات الجيش ، وانتقيت منها أفضل مائة رجل ، ليصبحوا (صقور أوكونور) ، وكان الانضمام إلى وحدتى يستلزم اجتياز

اختبارات خاصة عنيفة ، تشبه تلك الاختبارات ، التى كان يجتازها محاربو الهنود الحمر فيما مضى ، والتى تشبه تلك الرياضة الحديثة المعروفة باسم (الخماسى الحديث) .. وهى باختصار اختبار فى الرماية ، والسباحة ، والقتال الحرّ ، والعدْو ، ونحن هنا نختلف عن (الخماسىّ الحديث) ، فى كوْن الأخير يحوى الفروسية ، بدلًا من القتال الحُرّ ، ويضيف لُعبة (الشيش) أيضًا .

ثم التفت نحو (أدهم) ، مستطردًا فى صرامة :

ـ هل تظن أنه يمكنك اجتياز اختبارات الالتحاق بـ (صقور أوكونور) ؟

أجابه (أدهم) فى ثقة وهدوء :

ـ بالتأكيد .

عقد (أوكونور) حاجبيه ، وهو يتمعّن فى وجه (أدهم) فى اهتمام ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ إن خصومك ، فى تلك الاختبارات ، سيكونون من صقورى .

أجابه (أدهم) فى سخرية ، لم يستطع كبح جماح نفسه عنها :

ـ إذن فقد اجتزتها بالفعل ، مع أربعة وأربعين صقرًا من صقورك .

ارتسم مزيج من الغضب والتحدّى فى عينى (أوكونور) ، وهو يحدّق فى عينى (أدهم) طويلًا ، ثم التفت إلى أحد رجاله ، قائلًا فى حزم :

ـ حُلّ قيوده .

هتف الرجل ، فى خليط من الدهشة والاستنكار :

ـ ولكن يا سيّدى الجنرال ...

قاطعه (أوكونور) فى صرامة :

ـ حُلّ قيوده .

اتجه الرجل لتنفيذ الأمر فى خضوع ، على حين التفت (أوكونور) إلى باقى رجاله ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ـ فلتتخذ مدافعكم الآليّة أهْبَة الاستعداد ، ولتطلقوا النيران على الوافد الجديد ، فور شعوركم بأيّة بادرة شكّ .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ اطمئنّ يا جنرال .. لست أنوى الفرار مطلقًا .

ارتسمت ابتسامة دهاء على شفتى (أوكونور) ، وهو يقول :

ـــ لن يمكنك ذلك يا مستر (أدهم) ، وإن كنت ستمناه ، فالاختبارات التى تنتظرك ليست عادية أو مألوفة ، بل هى قطعة من الجحيم ، ستخوض فيها بنفسك .

واختلط الدهاء فى ابتسامته بالسخرية والشماتة ، وهو يستطرد :

ـــ جحيم (أوكونور) ..

* * *



٣ ـــ رياضة الموت ..

اتسعت عينا (منى) فى دهشة ، وهى تحدق فى وجه الزائر ، الذى طرق باب حجرتها بالمستشفى فى هدوء ، ثم دلف إلى الداخل ، وهتفت فى مزيج من الفرح والمفاجأة :

ـــ دكتور (أحمد) ؟.. يا لها من مفاجأة !!.. إنك آخر من كنت أتوقع رؤيته هنا !

ابتسم الدكتور (أحمد صبرى) ، شقيق (أدهم) ، وهو يتجه إليها ، ويصافحها ، قائلًا :

ـــ كنت أشاركك فى هذا الشعور يا صديقتى العزيزة ، منذ ثلاث عشرة ساعة فقط ، قبل أن ينتزعنى (أدهم) من فراشى ، بمكالمة هاتفية عبْر الخيط ، ويطلب منّى ترك كل أعمالى ، والحضور إلى هنا على الفور ، لدراسة حالتك ، وبذل المستحيل لمداواتك .

هتفت فى لهفة :

ـــ (أدهم) طلب منك ذلك ؟!.. وأين هو ؟

هزّ رأسه نفيًا في هدوء ، وهو يقول :

ـ لا أحد يعلم أين (أدهم) دومًا يا عزيزتي ، إنني أعجز عن إجابة هذا السؤال ، منذ كنّا في السادسة عشرة من عمرنا .

ثم أمسك ذراعها اليسرى ، وهو يستطرد في هدوء :

ـ فلنترك شقيقي العزيز يؤدّي عمله ، ولنولِ نحن اهتمامنا لذراعك .. هل يمكنك تحريك أصابعك ؟

تجاهلت سؤاله ، وهي تقول في قلق :

ـ إنني أخشى أن يكون (أدهم) قد تورّط مع (أوكونور) وصقوره وحده .. إنهم سيفتكون به .

أتاها صوت هادئ ، من عند باب الحجرة ، يقول بالإنجليزية :

ـ لست أفهم لغتكما العربية ، ولكنكما ذكرتما اسم (أدهم) ، وذلك الوغد (أوكونور) ، ولو أنكما تتحدثان عن معركتهما ، فأحب أن أؤكّد لكما أنني أشفق على (أوكونور) ورجاله ، ما دام صديقكم (أدهم) قد قرّر تدميرهم .

التفت إليه الاثنان في سرعة ، وغمغمت (منى) في دهشة :

ـ الملازم (براون) ؟!.. هل تعلم أين (أدهم) ؟

اتجه (براون) نحو فراشها في هدوء ، وجلس على طرفه ، مجيبًا :

ـ بالتأكيد .. لقد أوصلته إلى هناك بنفسي .

سألته في توتّر :

ـ إلى أين ؟

تردّد لحظة ، ثم أجاب في خُفوت :

ـ إلى تلك القلعة ، على مشارف (واشنطن) .

شَحُب وجه (منى) ، وهي تردّد في ارتياع :

ـ (قلعة الصقور) ؟!

تنهّد (براون) في عمق ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. قلعة الأوغاد .

ثم اندفع يقصّ عليهما ما حدث ، منذ حملها رجلا الإسعاف الزائفان ، وحتى اللحظة التي قفز فيها (أدهم) من الطائرة ، فهتفت به (منى) في جزع :

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

هزّ (براون) كتفيه ، وهو يقول :

ـ هذا ما أعنى معرفته .. لقد أطعت أوامره ، وعُدت

بالطائرة إلى المطار الصغير ، الذى استأجرناها منه ، ومن هنا إلى (نيويورك) مباشرة .

حاولت أن تنهض من فراش المرض ، وهي تهتف :

ـ يا إلهى !!.. إذن فـ (أدهم) وحده مع (أوكونور) وصقوره .. ينبغى أن نلحق به .. ينبغى أن .....

قاطعها الدكتور (أحمد) ، وهو يعيدها إلى فراشها ، قائلاً فى حزم :

ـ سنفحص ذراعك أولًا .

صاحت فى توتر :

ـ وهل نترك (أدهم) وحده ؟

أجابها فى صرامة :

ـ انضمام جرّاح أعصاب ، وفتاة بذراع واحدة سليمة ، ورجل شرطة ، لن يبدّل موقف (أدهم) كثيرًا ، والأفضل فى مثل هذه الأمور ، أن يهتم كل واحد بعمله فقط .

هتفت فى استنكار :

ـ كيف تتحدّث هكذا ؟.. إنه شقيقك .

ترقرقت فى عينيه دمعة ، قاومها فى صلابة ، وهو يقول فى حزم :

ـ إنه هكذا طيلة عمره ، ولكن هذا لم يدفعنى أبدًا إلى السعى خلفه مدى الحياة ، فكلانا ناضج ، يعرف طريقه جيّدًا .

تطلّعت (منى) إلى ملامحه ، وأيقنت من أنه يقاوم حزنًا وألمًا هائلين ، يجاهدان لحفر سماتهما فى تضاريس وجهه ، وهو يستطرد فى حسم :

ـ أرينى ذراعك .. هل تشعرين بالألم هنا ؟

* * *

اقترب (هوندو) ، الضابط الثانى فى فريق (صقور أوكونور) ، من قائده وهو يقول فى قلق :

ـ معذرة يا سيّدى الجنرال ، ولكننى لست أثق فى صدق ذلك المصرى .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (أوكونور) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ ولا أنا يا (هوندو) .

غمغم (هوندو) فى دهشة :

ـ لماذا تمنحه فرصة اجتياز الاختبارات إذن يا سيّدى الجنرال ؟

اتسعت ابتسامة (أوكونور) فى دهاء ، وهو يقول :

ــ هل نسيت ما قرّرته أنا بشأنه ، منذ البداية يا (هوندو) ؟.. ألم أقل إننى سأعمد إلى تعذيبه أوّلاً ، وإذلاله ، قبل أن أقتله ؟

غمغم (هوندو) فى حَيْرة :

ــ ولكن يا سيّدى ، الاختبارات ليست وسيلة للتعذيب ، على الرغم من ......

قاطعه (أوكونور) فى هدوء :

ــ إنك تتحدّث عن اختباراتنا العاديّة ، وليس عن الاختبارات الخاصّة ، التى سيتعرّض لها ذلك الشيطان المصرىّ .

غمغم (هوندو) ، وقد تعاظمت دهشته وحَيْرته :

ــ اختبارات خاصّة ؟.

مرّة أخرى ابتسم (أوكونور) فى خُبْث ، وقال :

ــ لقد أرسلت (دوايت) ؛ لإحضار خصم لدود لذلك الشيطان المصرىّ ، وحتى يصل ذلك الخصم ، سنتسلّى بمشاهدة السيّد (أدهم صبرى) ، وهو يواجه الأهوال .

وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

ــ أهوال جحيمنا الخاصّ .

* * *

قلّبَ (أدهم) فى يده ذلك المسدّس الضخم الخاص ، الذى أعطاه إيّاه (صقور أوكونور) ، قبل أن يدخلوه إلى قاعة ضخمة ، لها ثلاثة جدران من الزجاج المصفّح ، والرابع من الخشب ، ولا يوجد بها من الأثاث سوى منضدتين صغيرتين ، استقرّت فوق كل منهما عشر رصاصات ، ولحق به رجل مفتول العضلات ، يرتدى زيًّا عسكريًّا ، يزيّن موضع القلب منه رسم لصقر محلّق ..

والتفّ الصقور حول القاعة ، يتطلّعون إلى (أدهم) وزميلهم ، عَبْرَ جدرانها الزجاجية المقاومة للرصاص ، على حين نقل مكبّر الصوت فى ركنها صوت (أوكونور) ، وهو يقول :

ــ الاختبار الأوّل فى الرّماية يا مستر (أدهم) .. معك فى القاعة (جيمى والترز) .. أفضل الرُّماة فى فريقنا ، وسيجرى الاختبار أمامك .. مسدّسك يحوى خزانة فارغة ، وأمامك عشر رصاصات ، وهذا هو الحال نفسه مع (والترز) .

ثم صاح فجأة فى قوّة :

ــ ابدأ يا (والترز) .

قبل أن ينتهى من صيحته ، كان (والترز) ينتزع خزانة

مسدسه ، ويحشوها بالرصاصات العشر فى سرعة ، على حين برزت أمام الجدار الخشبى عشرة صقور خشبية ، تندفع من زوايا مختلفة ، فى اتجاهات عشوائية ، متقاطعة ، ومتداخلة ، فصوّب (والترز) مسدسه إليها ، وأطلق رصاصاته العشر فى سرعة وتعاقب ، ثم اعتدل مبتسمًا فى ثقة ، على حين عاد صوت (أوكونور) يتردّد فى زهو :

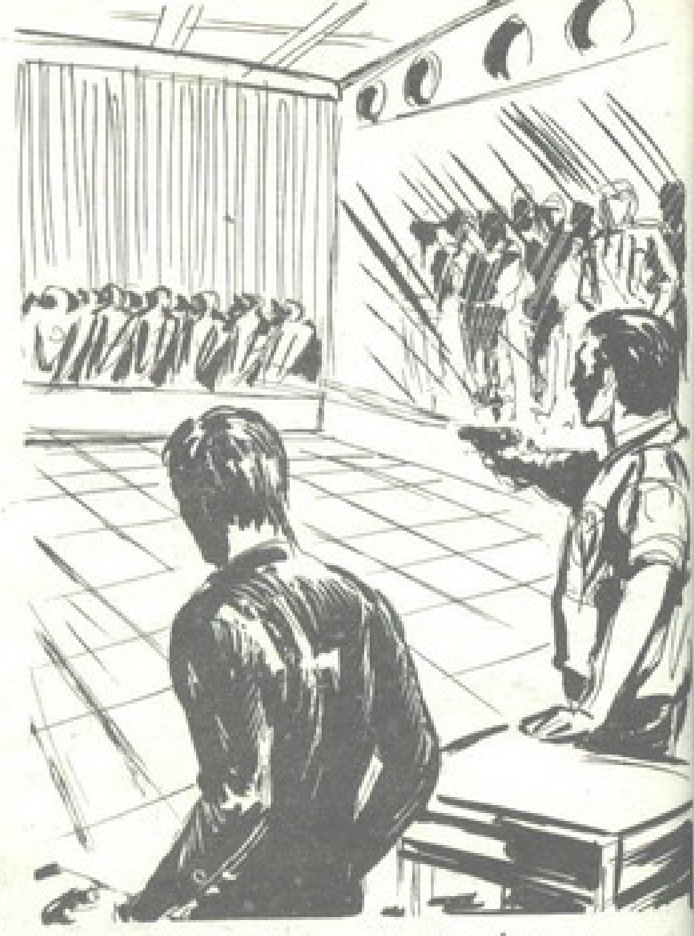
ـــ هل رأيت يا مستر (أدهم) ؟.. لقد أصاب (والترز) ثمانية صقور من العشرة ، محافظًا على القواعد ، التى تقتضى عدم إصابة صقر واحد برصاصتين ، على الرغم من سرعة الصقور وتداخل مساراتها ، وأنت تعلم كخبير أن إطلاق النار على عشرة أجسام متشابهة ، تتحرّك فى سرعة ، داخل مجال واحد محدود ، شديد الصعوبة ، فما بالك بضرورة إصابة كل منها برصاصة واحدة فحسب .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ إنه أمر تافه .

عقد (والترز) حاجبيه فى غضب ، وقال فى حدّة :

ـــ فلنَرَك تؤدّى هذا الأمر التافه إذن ، ولكن اعلم أوّلاً أن الحدّ الأدنى ، لتجاوز هذا الاختبار ، هو إصابة سبعة صقور ،



على حين برزت أمام الجدار الخشبى عشرة صقور خشبية ، تندفع من زوايا مختلفة .

مع مراعاة أن إصابة صقر واحد برصاصتين ، يُفنى خصم نقطتين من نقاطك العشر .

أجابه (أدهم) ساخرًا :

ـ يا إلهى !.. لقد أصبتنى بالرُّعب .

وفجأة ، دوَّى صوت (أوكونور) فى حزم :

ـ ابدأ يا مستر (أدهم) .

خُيِّل لـ(أوكونور) وصقوره أنهم يشاهدون عرضًا سينمائيًا ، يُعرض بثلاثة أضعاف السرعة العادية ، حينما انتزع (أدهم) خزانة مسدَّسه ، وحشاها بالرصاصات العشر ، ثم بدأ إطلاق النار ، فى نفس اللحظة التى برزت فيها الصقور الخشبية من الأركان ..

وجحظت عينا (والترز) فى ذهول ، وهو يمد عنقه إلى الأمام ، محدِّقًا فى الصقور الخشبية العشرة ، التى أصابت الرصاصات العشر رءوسها تمامًا ، قبل أن تبدأ حتى فى اتخاذ مساراتها المتشابكة المعقَّدة ، على حين مطَّ (أدهم) شفتيه فى هدوء ، وهو يقول فى سخرية :

ـ ألمْ أقُلْ لكم إنه أمر تافه؟

ران الصمت والذهول لحظة ، ثم صاح (أوكونور) :

ـ استعدَّ للاختبار الثانى .. السباحة .

وعلى الفور ارتفع الجدار الخشبى ، كاشفًا قاعة أخرى أكثر ضخامة ، يتوسَّطها حوض سباحة كبير ، مع استطراد صيحة (أوكونور) :

ـ اقفز داخل الحوض يا مستر (أدهم) ، وكل المطلوب منك هو أن تعبُره بثيابك الكاملة .

شعر (أدهم) بتفاهة الاختبار ، وهو يندفع نحو الحوض فى سرعة ، ويقفز قفزة رشيقة ، جعلته يغوص فى مياهه الباردة ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى أيقن من صعوبة وعنف هذا الاختبار ، فقد رأى أمامه فكَّين هائلين ، يلتمع خلفهما زوج من العيون الكبيرة ، الواسعة ، الوحشية ..

ولم تكن معلومات (أدهم) ، عن عالم الحيوان ، فائقة أو متطوِّرة ، ولكن هذا لم يمنعه من معرفة ذلك الحيوان الضخم ، الذى فتح فكَّيه عن آخرهما أمامه ، وأبرز أسنانه الحادَّة اللامعة ، وهو يمنِّى نفسه بوجبة بشريَّة شهيَّة ..

ذلك الحيوان الذى ينبغى أن يقاتله (أدهم) ، وهو يرتدى كامل ثيابه ..

وبلا سلاح ..

الحيوان المعروف باسم (تمساح الكايمان الرهيب) ..

* * *

٤ ــ بين أنياب وحش ..

هزّ الدكتور (مارتن)، رئيس قسم جراحة المخ والأعصاب، بمستشفى (نيويورك) المركزىّ، رأسه فى أسف، وهو يقول للدكتور (أحمد صبرى) فى حزم :

ــ كلّا .. إننى أختلف معك أيها الزميل المصرىّ .. هذه الذراع ستبقى عاجزة إلى الأبد .

أجابه الدكتور (أحمد) فى هدوء :

ــ مطلقًا يا دكتور (مارتن) .. لقد فحصت كل صور الأشعة، وتقارير الكمبيوتر، وهى تشير كلها إلى أن أعصاب الذراع، عند الضفيرة العصبيّة الإبطية، سليمة، ولكن هناك ورم مائى يضغطها، ويسبّب هذا الشلل، ولو أننا أزلنا ذلك الورم، فستستعيد الذراع كفاءتها، على أن يتمّ ذلك فى سرعة، وقبل أن تصاب الأعصاب العضلية بضمور دائم .

هزّ الدكتور (مارتن) رأسه فى حزم، قائلًا :

ــ إنك تتمنّى حدوث المستحيل يا صديقى، فموضع

ذلك الورم المائىّ، وحجمه، يجعلان من المستحيل تصفيته أو انتزاعه، دون أن تؤذى أعصاب الذراع نفسها، و .....

قاطعه الدكتور (أحمد) فى صرامة :

ــ ولكننى أتحمّل كل النتائج .

هتف الدكتور (مارتن) فى حدّة :

ــ وماذا عن المريضة ؟

أجابه الدكتور (أحمد) فى حزم :

ــ إنها لن تخسر أكثر مما خسرته بالفعل، ثم إننى أحمل تفويضًا كاملًا منها، وإقرارًا كتابيًّا بموافقتها على إجراء الجراحة .

قال الدكتور (مارتن) فى عصبيّة :

ــ لقد نسيت نقطة بالغة الأهمّيّة، فمستشفانا ليس معملًا للتجارب الجراحية، و .....

بتر عبارته بغتة، دون أن ينطق الدكتور (أحمد) بحرف واحد ..

كانت تلك الصرامة المطلّة من عينى الدكتور (أحمد صبرى) وحدها تكفى، ليبتلع الدكتور (مارتن) الجزء الباقى من عبارته، ويتطلّع إلى الدكتور (أحمد) فى توتّر، قبل أن يقول هذا الأخير فى هدوء صارم :

— اسمعنى جيدًا يا دكتور (مارتن) ، صحيح أن عمرى يقلّ عن عمرك بخمسة عشر عامًا كاملة ، ولكن سمعتى فى أوساط جراحة المخ والأعصاب معروفة ، وأنا واحد من ستة عشر جرّاحًا ، فى العالم أجمع ، يُتقنون جراحة الأعصاب الميكروسكوبيّة ، ويُنتدبون لتدريسها فى كل جامعات العالم ، وأنا أحمل إجازة خاصّة ، من منظّمة الصّحّة الدوليّة ، تمنحنى الحق فى إجراء جراحاتى ، فى أى مستشفى فى العالم أجمع ، وهذا يعنى — فى اختصار — أنك لا تملك حق الرفض .

ثم نهض ، وهو يُردِف فى حزم :

— وتقديرًا لموقعك فى هذا المكان ، لن يتجاوز الجزء الأخير من حديثنا جدران مكتبك ، ولكن عليك أن تعدّ إحدى حجرات العمليات هنا ، لإجراء الجراحة . على أن تكون حجرة غير مقيّدة بأيّة عمليات جراحيّة أخرى ، فأنت تعلم كم تستغرق تلك الجراحات الدقيقة من وقت .

كان وجه الدكتور (مارتن) يحتقن فى شدّة ، وهو يستمع إلى كلمات الدكتور (أحمد صبرى) ، الذى أنهى حديثه ، وغادر مكتب الأوّل فى هدوء ، وتركه يغلى ويُرغى ويُزبد ، قبل أن يلتقط سمّاعة الهاتف الداخلىّ الخاصّ به ، ويقول فى حنق :

— (هيدى) .. قومى بإعداد حجرة العمليات رقم (خمسة) ؛ لإجراء جراحة طويلة ، من جراحات الأعصاب .

ثم عقد حاجبيه فى ضيق ، وهو يستمع إليها ، قبل أن يقول فى عصبيّة :

— كلّا .. لست أنا من سيجريها ، ولا أىّ من أطبائنا .. إنه ذلك الطبيب المصرىّ ، القادم من (السويد) .

وأعاد سمّاعة الهاتف فى سخط ، وهو يستطرد فى حنق :

— ذلك الذى يظن نفسه (رجل المستحيل) ..

* * *

فتح تمساح (الكايمان) فكّيه عن آخرهما ، وبرزت أنيابه الحادّة المخيفة ، وهو يتجه نحو فريسته البشرية ، التى ألقت نفسها فى حوضه طواعية ، وهو الذى لم يذق طعامًا منذ يومين كاملين ..

ولكن الفريسة هذه المرّة لم تكن عاديّة ..

كانت رجلًا تهابه الأسود ..

(رجل المستحيل) ..

ولقد راجع عقل (أدهم) كل ما يعلمه عن تماسيح (الكايمان) ، وهو يغوص فى سرعة إلى أعماق الحوض ، متفاديًا



وأطبق التمساح الرهيب فكّيه على الماء ، ثم حاول فتحهما مرّة أخرى ، ولكنه عجز .

أسنان التمساح القويّة ، سابحًا كسمكة قرش رشيقة ، تناور خصمًا رهيبًا ..

وتجاوز جسده أسنان التمساح ، فى المناورة الأولى ، فضرب الحيوان الماء بذيله القوىّ ، محاولًا إصابة فريسته بضربة حادّة ، تُفقدها الوعىَ ، وتجعلها عديمة المقاومة ، سهلة المنال ، ولكن (أدهم) تفادى تلك الضربة الهائلة ، وانتزع حزام سرواله ، ثم اتجه فى حزم نحو التمساح الضخم ، وتعلّق بظهره ..

وبُوغت الحيوان المفترس بتلك المبادرة الجريئة ، فأخذ يتقلّب فى قوّة ، ويدور حول نفسه فى سرعة ، محاولًا التخلُّص من خصمه ، إلّا أنّ قبضتَىْ (أدهم) أحاطتا بجسد التمساح فى قوّة ، ككلّابتين من الفولاذ ، وهو يحيط فكّى التمساح الضخمين بحزامه ..

وأطبق التمساح الرهيب فكّيه على الماء ، ثم حاول فتحهما مرّة أخرى ، ولكنه عجز ..

عجز ؛ لأن حزام (أدهم) أحاط بفكّيه ، وأحكم (أدهم) رباطه فوقهما فى قوّة ..

كان ذلك استغلالًا لحقيقة علمية ، تذكّرها (أدهم) ، عن تماسيح (الكايمان) ..

لقد تذكَّر أن العضلات ، التى تُطبق فكَّى ذلك النوع من التماسيح ، بالغة القوّة ، على عكس العضلات التى تفتحهما ، وهى ضعيفة عاديّة(*) ..

لذا فقد سيطر (أدهم) على فكّى التمساح مطبقين ، وجرّد الحيوان المفترس من أقوى أسلحته ..

من أسنانه الرهيبة ..

وثارت ثائرة التمساح الهائل ، وراح يضرب الماء بجسده وذيله فى قوّة ، ويدور حول نفسه فى غضب ، محاولاً التخلُّص من ذلك القيد الشديد ، الذى أفقده قوّته ، على حين تخلّى (أدهم) عن ظهر التمساح ، وراح يسبح فى سرعة وقوّة ، نحو النهاية الأخرى للحوض ، قبل أن يتخلّص التمساح من قيده ، ويلحق به ..

وأمام أعين صقور (أوكونور) الذاهلة ، وأمام عينى قائدهم، صعد (أدهم) إلى الجانب الآخر من حوض السباحة، وهو يلهث ، قائلاً فى صوت قوىّ ، هو مزيج من الغضب والصرامة :

ـــ الاختبار التالى أيها الجنرال .

(*) حقيقة علمية .

مضت فترة من الصمت ، عجز خلالها (أوكونور) عن التفوُّه بحرف واحد ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) فى دهشة ، عَبْر الجدران الزجاجيّة ، وينقّل بصره مشدوهًا إلى تمساحه الرهيب ، الذى نجح أخيرًا فى التخلُّص من قيده ، وتحرير فكّيه ، وراح يدور فى الحوض مُختنقًا ، ساخطًا ..

وعلى الرغم منه ، اختلط غضب (أوكونور) بمزيج من التقدير والإعجاب ، وهو يغمغم :

ـــ أحسنت أيها المصرىّ !!

ثم استعاد صوته صرامته ، وهو يستطرد :

ـــ الاختبار التالى هو القتال اليدوىّ يا مستر (أدهم) .

وأشار بيده ، فدلف خمسة من رجاله ، يرتدون ثياب القتال ، إلى حيث يقف (أدهم) ، إلى جوار حوض السباحة ، وصنعوا بأجسادهم نصف دائرة ، تحيط بـ(أدهم) ، وتجعل ظهره تجاه الحوض ، حينما يواجههم ، على حين استطرد (أوكونور) :

ـــ كل من هؤلاء الصقور الخمسة يحوز الحزام الأسود ، فى رياضة (التايكوندو) يا مستر (أدهم) ، ومهمّتك هى أن تهزمهم جميعًا .

وابتسم فى تشفٍّ ، وهو يستطرد :

ـــ ودون أن تستخدم ذراعيك ، أو قبضتيك .

دارت عينا (أدهم) ، فى وجوه الرجال الخمسة ، فى صرامة ، وهو يغمغم :

ـــ هذا الاختيار يرُوق لى .

وهنا هتف (أوكونور) فى حزم :

ـــ ابدأ .

واتخذ المقاتلون الخمسة وقفاتهم القتالية ، واستعدُّوا لإتمام مهمَّتهم ، التى تقتصر على إعادة (أدهم) قسرًا ، إلى فكَّى تمساح (الكايمان) ..

* * *

كان (أدهم) هو الذى بدأ القتال ..

قبل أن يخطو أى من المقاتلين الخمسة خطوة واحدة ، قفزت قدم (أدهم) اليمنى ، تهشّم فكّ أولهم ، على حين اندفعت قدمه اليسرى فى الوقت ذاته ، لتغوص فى معدة الثانى ، ثم دار (أدهم) على عقبيْه فى رشاقة مذهلة ، وقفزت قدماه مرّة أخرى فى الهواء ، فركلت اليمنى الثانى فى فكّه ، وألقت به بعيدًا ، واستقرَّت اليسرى فى عنق الثالث ..

واندفع الرابع والخامس نحو (أدهم) فى شراسة ، وهما يطلقان صرخاتهما القتالية المخيفة ، ولكن (أدهم) استقبل الرابع بركلة كالقنبلة فى معدته ، وأخرى فى فكِّه ، ثم قفز متفاديًا انقضاضة الخامس ..

وفقد المقاتل الخامس توازنه ، حينما اختفى خصمه من طريقه ، ووجد نفسه يندفع نحو حوض السباحة ، والتمساح الرهيب يفتح فكَّيْه عن آخرهما ، استعدادًا لتلقِّيه ..

وجحظتْ عينا الرجل فى ذُعر ، وهو يلوِّح بكفَّيْه فى الهواء ، محاولًا التشبث بأى شىء ، ثم هوى بين فكَّى التمساح ..

وفجأة ، امتدَّت قبضة (أدهم) ، وأمسكت ياقة المقاتل الأخير ، وجذبه إليه فى قوّة ، قبل أن يسقط بين أسنان تمساح (الكايمان) الرهيب ، وأعاده إلى حافة الحوض ، ثم ركله بركبته فى معدته ، وأمسك كتفيه ، ودفعهما إلى أسفل ، لتلتقى ركبته الأخرى بفكِّ الرجل ، فيسقط فاقد الوَعْى ، إلى جوار رفاقه الأربعة ..

وفى هدوء واعتزاز واعتداد ، استدار (أدهم) يواجه (أوكونور) ورجاله ، وهو يقول فى صلابة :

— لقد انتهيت من الاختبار الثالث ، وأنتظر الرابع يا جنرال .

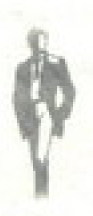
افترّ ثغر (أوكونور) عن ابتسامة خبيثة شامتة ، وهو يقول :

— لا يوجد اختبار رابع يا مستر (أدهم) .. لقد خالفت قواعد الاختبار الثالث ، واستخدمت قبضتك ، وهذا يعنى أنك قد فشلت .

عقد (أدهم) حاجبيه فى غضب ، على حين استطرد (أوكونور) فى سخرية وتشفٍّ :

— وعقاب الفشل هنا هو الموت .. لقد انتهيت يا مستر (أدهم صبرى) ..

* * *



٥ — الخَصْم اللّدود ..

هبطت الهليوكوبتر الخاصة ، التى تقلّ (دوايت) ، الضابط الأوّل للجنرال (أوكونور) ، فى ساحة (قلعة الصقور) ، وقفز منها (دوايت) ، وهو يقول لأحد حرّاس الساحة فى انفعال :

— أين الجنرال ؟

أجابه الحارس فى احترام :

— فى قاعة الاختبارات يا سيّدى الضابط ، مع ذلك المصرىّ .

هتف (دوايت) فى انفعال واضح :

— أخبره أننى قد أحضرت خصم ذلك المصرىّ ، الذى طالبنى بإحضاره ، وأننى سأنتظره معه فى مكتبه .

أجابه الحارس فى حسم :

— كما تأمر يا سيّدى الضـ .....

اختنق الجزء الباقى من الكلمة فى حلق الحارس ، وتدلّت فكّه السفلى فى انبهار ، وهو يحدّق فيمن تبع (أوكونور) خارج

الهليوكوبتر ، وكاد يتناسى وجود ضابطه ، ويندفع لملاقاة ذلك الخَصْم ، الذى أحضره (دوايت) إلى القلعة خصِّيصًا ، لولا أن هتف به (دوايت) فى حِدَّة :

— هيَّا .. اذهب .

أعاد الهاتف إلى الحارس وعيه ، فعاد يعتدل ، مغمغمًا فى اضطراب :

— نعم يا سيِّدى .. كما تأمر يا سيِّدى .

وأسرع يطيع الأمر ، وهو يختلس النظر إلى حيث يقف (دوايت) ، مع ذلك الخَصْم المُبْهر ، وهو يغمغم :

— يا للروعة !! .. يا للروعة !! ..

* * *

لم يكد (أوكونور) يخبر (أدهم) بفشله فى الاختبار الثالث ، حتى سرت همهمة ساخطة بين صقوره ، فالتفت إليهم فى دهشة ، وهو يهتف فى حَنَق :

— ماذا هناك ؟

اقترب منه ضابطه الثانى (هوندو)، وهمس فى قلق :

— الرجال يرون أنه قد تجاوز القواعد ؛ لإنقاذ زميلهم من أسنان التمساح يا سيِّدى الجنرال ، وهذا يرُوق لهم ، ويجعلهم يستنكرون فكرة قتله .

غمغم (أوكونور) فى سخط :

— ماذا دهاهم ؟! .. هل نسُوا أنه قد هزم ما يقرب من نصفهم ، وأنه قد قتل ربعهم تقريبًا ؟

همس (هوندو) ، وهو يختلس النظر إلى الصقور ، الذين بَدَوْا غاضبين :

— لا تنسَ أنهم مقاتلون يا سيِّدى ، وبالنسبة لهم كان الأمر قتالًا ، وكان ذلك المصرىّ يدافع عن نفسه ، أما الآن فالأمر يختلف ..

عقد (أوكونور) حاجبيه فى غضب ، إلا أن عقله لم يلبث أن درس الأمر ، بطبيعته العسكرية ، ووجد أنه من الأفضل للقائد أن يحظى بتأييد رجاله لكل قراراته ، ما دام يخوض معهم حربًا خاصَّة ، ثم إنه لن يعجز عن إيجاد فرصة أخرى للتخلُّص من (أدهم) فيما بعد ؛ لذا فقد قال فى حزم ، لم ينجح فى إخفاء كل ما حواه من حَنَق :

— حسنًا يا مستر (أدهم) ، سنتغاضى عن تجاوزك للقواعد ، وعن اختبار العَدْوِ الأخير ، وستصبح واحدًا منَّا .

تعالَى هتاف الصقور ، وتنهَّد (أدهم) فى ارتياح ... لقد حقَّق نصف ما كان يأمله ..

لقد نجح في إقناع (أوكونور) بضمّه إلى صفوفه ..

والخطوة التالية هي أن يكتسب ثقته ، حتى يطلعه على أسرار قلعته ، فيعمل على إفساد أجهزة تفجير القنبلة الذرّيّة الرابضة في أعماق القلعة ، وأجهزة إطلاق الصواريخ الثلاثة ذات الرءوس النوويّة ..

وبعدها سيدمّر (أوكونور) وصقوره ، وسينتقم منهم لما أصابوا به زميلته ، وحبيبته (منى) ..

وبقي (أوكونور) وحده غاضبًا ، وسط رجاله ، حتى اقترب منه حارس الساحة ، وهمس في أذنه :

ـ لقد عاد الضابط (دوايت) يا سيّدي الجنرال ، ومعه من طلبت إحضاره ، ويقول إنه سينتظرك في مكتبك الخاصّ .

تألّقت عينا (أوكونور) ، وهو يقول :

ـ قل له أن ينتظر قليلًا ، ثم يلحق بي هناك ، فسأصحب ذلك المصريّ إلى مكتبي أوّلًا .

تراجع الحارس ، وهو يقول في احترام :

ـ كما تأمر يا جنرال .

على حين ازداد تألّق عيني (أوكونور) ، وهو يقول لنفسه :

ـ الآن فقط يمكننا أن نتأكّد من نواياك يا مستر (أدهم صبري) .. فإمّا أن تنضمّ إلينا ، أو تنتهي حياتك هنا ، في (قلعة الصقور) .

* * *

تصبّب العرق على جبين الدكتور (أحمد صبري) ، وهو يجري تلك الجراحة العصبيّة الدقيقة ، في ذراع (منى) ، التي بدت كأكثر ماتكون وداعة ، تحت تأثير المخدّر ، في حجرة العمليات ..

وحانت من الدكتور (أحمد) التفاتة إلى ساعة الحائط ، التي تواجهه ، فأنبأته أنه يعمل منذ ثلاث ساعات متصلة ، دون أن يتوقّف لحظة واحدة ..

وأسرعت الممرّضة الأمريكية تجفّف عرقه ، وهي تتطلّع في إعجاب إلى كفّيه وأصابعه ، التي تعمل في سرعة ومهارة ، لم ترَ مثلهما طوال عملها في هذا المجال ، وأدهشها كيف أنّ مصريًّا يفوق كبار الجرّاحين الأمريكيين ، وخامرها شعور بالندم ؛ لأن معلوماتها عن (مصر) والمصريين لاتتجاوز القليل عن الحضارة الفرعونية وآثارها ، وقرّرت في أعماقها أن تقضي إجازتها القادمة في (مصر) ؛ لتعلم المزيد عن ذلك الشعب ، الذي يبهرها أحد أبنائه ..

وكان الدكتور (أحمد) أيضًا يحلم — فى تلك اللحظة — بقضاء إجازته القادمة فى (مصر) ، مع (أدهم) و (منى) ، بعد أن ينهى الأوّل مهمّته فى نجاح ، وتشفى الثانية من إصابتها ، وجاهد ليركّز كل أفكاره واهتمامه على الجراحة الدقيقة التى يجريها ، وليبعد عن ذهنه سؤالًا ملأ نفسه بالقلق ، وراود عقله فى إلحاح ..

أين (أدهم) الآن ؟..

أين ؟..

* * *

صبّ الجنرال (أوكونور) ، من زجاجة (الشمبانيا) الخاصّة به ، كأسين ، ناول إحداهما إلى (أدهم) ، فى حجرة مكتبه الخاصّة ، وهو يقول :

— فلنشرب نخب انضمامك إلى (صقور أوكونور) .

تناول (أدهم) الكأس ، ووضعها على المنضدة المجاورة له فى هدوء ، وهو يقول :

— يؤسفنى أنك ستشرب ذلك النخب وحدك يا جنرال ، فأنا لا أتناول المشروبات الروحية .

التقى حاجبا (أوكونور) فى غضب ، وهو يقول فى صرامة :

— تذكّر أنك أحد رجالى الآن يا مستر (أدهم) ، وهذا يعنى ضرورة طاعتك لأوامرى ، أيًا ما كانت .

أجابه (أدهم) فى حزم :

— ليس فيما يختصّ بتلك السموم ، التى ستفقدنى تفوّق .

حدجه (أوكونور) بنظرة باردة ، وهو يقول :

— إذن فهذا سرّ تفوّقك يا مستر (أدهم) .. إنك لا تدخّن ، ولا تتناول المشروبات الروحية ، وتواظب على المحافظة على لياقتك .

أجابه (أدهم) فى برود مماثل :

— إننى أزاول تدريبات اللياقة منذ أكثر من ثلاثين عامًا .

ابتسم (أوكونور) فى سخرية ، وهو يقول :

— ألا تظن أن قولك هذا شديد المبالغة ، خاصّةً وأنك لم تبلغ الأربعين بعد ؟

ابتسم (أدهم) بدوْره فى سخرية ، وهو يجيب :

— قد يدهشك أن تعلم أننى — وبفضل والدى (رحمه الله) — أتدرّب على أداء ذلك الدّور ، الذى أتقنه الآن ، منذ كنت فى الثالثة من عمرى [*] .

(*) راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

حدّق (أوكونور) فى وجهه بدهشة ، دامت لحظة واحدة ، قبل أن يقول فى عصبيّة :

ـــ ألن تتخلّى عن أسلوبك الساخر هذا ، بعد أن أصبحت أحد رجالى ؟

هزّ (أدهم) كتفيْه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا بأس ، ما دام ذلك لا يُروق لك .

جرع (أوكونور) كأسه دفعة واحدة ، ووضع كأسه على سطح مكتبه فى عنف ، وهو يقول :

ـــ اسمع يا مستر (أدهم) ، سأتحدّث إليك فى صراحة ووضوح .

ثم مال نحوه ، وقد تحوّل أنفه إلى لون أحمر قان ، مستطردًا :

ـــ إننى ـــ وبكل صراحة ووضوح ـــ لست أثق فى صدق نواياك ، بخصوص الانضمام إلينا .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـــ وما الدليل الذى تحتاج إليه ؛ لتثق فى ذلك ؟

ابتسم (أوكونور) فى دهاء ، وهو يقول :

ـــ سيأتى الدليل على قدميه إلى هنا ، بعد لحظات .

ولوّح بكفّه ، مستطردًا فى زهو :



ثم مال نحوه ، وقد تحوّل أنفه إلى لون أحمر كان ، مستطردًا :
ـــ إننى ـــ وبكل صراحة ووضوح ـــ لست أثق فى صدق نواياك .

— إنه أحد ألد خصومك ، ممن قاتلتهم طويلًا . وانتصرت عليهم أكثر من مرة .

قفزت عدة أسماء فى ذهن (أدهم) ، وحاول استخلاص ذلك الخصم اللدود من بينها ، حينما ارتفع صوت دقات هادئة على باب الحجرة ، فقال (أوكونور) فى شغف :

— ادخل يا (دوايت) ، مع من يرافقك .

سمع (أدهم) — من خلف ظهره — صوت الباب يُفتح ، وصوت أقدام تخطو إلى الداخل ، وعقد حاجبيه ، وهو يتطلع إلى ذلك البريق المشدوه ، الذى تألق فى عينى (أوكونور) ، وهو يتطلع فى انبهار إلى حيث يقف (دوايت) ومن يرافقه ..

كان بريقًا مألوفًا ، شاهده (أدهم) كثيرًا ، فى عيون رجال حطمهم من قبل ..

بريق انتقى اسمًا واحدًا ، من بين الأسماء التي تدور فى ذهن (أدهم) ، الذى ابتسم فى سخرية ، وقال دون أن يلتفت :

— مرحبًا يا عزيزتى (سونيا) ..

وكان على حق ..

كان خصمه اللدود هو تلك الأفعى الفاتنة ..

كان (سونيا جراهام) ..

* * *

٦ — الأفعى والشيطان ..

اتسعت عينا الدكتور (مارتن) ، رئيس قسم جراحة المخ والأعصاب ، بمستشفى (نيويورك) المركزى ، وهو يربت على ظهر الدكتور (أحمد صبرى) ، هاتفًا فى حرارة :

— يا للسماء !!.. لقد فعلتها يا رجل .. لقد أجريت أروع وأنجح وأعقد عملية جراحية رأيتها فى حياتى .. إنك حقًا (رجل المستحيل) ..

ابتسم الدكتور (أحمد) فى تواضع ، وهو يقول فى ارتياح :

— لقد وفقنى الله (سبحانه وتعالى) كثيرًا يا دكتور (مارتن) ، فقد كان موضع ذلك الورم المائى بالغ الحساسية ، على الرغم من صغر حجمه ، ولكن أعصاب الذراع كانت سليمة .

أطلق الدكتور (مارتن) ضحكة عالية ، وهو يعود ليربت على ظهر الدكتور (أحمد) ، قائلًا :

— دع عنك ذلك التواضع يا رجل ، إنه لا يصلح هنا ،

لقد أنجزت عملًا رائعًا ، وإنى لأشعر بالأسف والندم ؛ لأننى لم أقم بتصوير عمليتك لحظة لحظةً .

هزَّ الدكتور (أحمد) رأسه ، فى حركة لاتعنى شيئًا ، وهو يقول :

— المهمُّ أنها نجحت ، وإلا فما غفر لى شقيقى ذلك أبدًا .

مال الدكتور (مارتن) نحوه ، وهو يسأله فى اهتمام :

— أشقيقك جرّاح أيضًا ؟

ابتسم الدكتور (أحمد) ، وهو يقول :

— إن عمله قريب من ذلك ، فهو يقضى عمره فى استئصال بعض الخلايا الخبيثة من عالمِنا ، وزرعها فى أعماق الجحيم .

تراجع الدكتور (مارتن) فى دهشة ، وهو يغمغم :

— ما الذى يَعْنِيه ذلك بالضبط ؟.. أهو رجل شرطة ، أم قاتل محترف ؟

هزَّ الدكتور (أحمد) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— لا هذا ولا ذاك يا دكتور (مارتن) .. إنه رجل عظيم .

ثم تطلّع إلى (نيويورك) ، عَبْرَ نافذة حجرة (مارتن) ، وهو يستطرد فى قلق :

— أو أنه كان كذلك .. لا أحد يدرى .

* * *

استدار (أدهم) فى بطء وهدوء ؛ ليواجه (سونيا جراهام) ، أفعى (الموساد) السابقة ، وهو يعقد كفَّيه خلف ظهره ، ويبتسم ابتسامة ساخرة كبيرة ، قائلًا :

— كيف حالك يا عزيزتى (سونيا) ؟.. لقد تصوَّرت أنك ما زلت تقضين فترة سجنك فى (باريس) ، بعد لقائنا الأخير هناك(*) .

برقت عينا (سونيا) بمزيج من الحقد والوحشية والشراسة ، على نحو يتناقض تمامًا مع جمالها الصارخ ، وفتنتها الزائدة ، وهى تقول :

— لم يكن من الممكن أن أبتعد عنك طويلًا يا عزيزى (أدهم) .

سألها ، وهو يبتسم فى سخرية :

— هل فَرَرْتِ من سجنك ؟

أجابته فى حِدّة :

— ليس هذا من شأنك .

أفاق (أوكونور) من انبهاره بفتنتها الطاغية ، فى تلك اللحظة ، فاندفع نحوها ، متجاوزًا (أدهم) ، ومتناسيًا إيّاه ،

(*) راجع قصة (الجاسوس) .. المغامرة رقم (٦٣) .

والتقط كفَّها فى راحته ، وانحنى يلثمها بقُبلة حارّة ، وهو يهتف :

— مرحبًا بك فى (قلعة الصقور) ياسيّدتى .. إنه لمن دواعى الشرف والفخر ، أن تتنازلى بالحضور إلى هنا .

تركته (سونيا) يلثُمُ كفَّها فى هدوء ، وهى تتطلّع إلى (أدهم) بنظرات شامتة ظافرة ، فقال هذا الأخير فى هدوء ، لم يخفِ نبرة التهكّم فى صوته :

— يبدو أن حياة السجون تلائمك يا (سونيا) ، فقد ازددت فتنة وجمالًا فى الآونة الأخيرة .

أجابته فى حقد واضح :

— قتل المُتَحَذلِقِينَ أمثالك يلائمنى أكثر يا (أدهم) .

قال (أدهم) فى لهجة ساخرة :

— حَذارِ ياعزيزتى (سونيا) .. إنك تهدّدين أحد (صقور أوكونور) .

حدّقت (سونيا) فى وجهه بدهشة ، وأدارت عينيها إلى (أوكونور) فى استنكار وتساؤل ، فغمغم هذا الأخير فى خشونة :

— ليس بعد .

ثم استطرد ، موجّهًا حديثه إلى (سونيا) :

— لقد اجتاز (أدهم صبرى) اختبارات الالتحاق بصقورى ياسيّدتى ، وهذا يمنحه الحق فى أن يصبح أحدهم .

صاحت (سونيا) فى استنكار عنيف :

— (أدهم صبرى) ؟!.. إنه مُخادِع يا جنرال .. أؤكّد لك أنه كذلك .. إن (أدهم صبرى) ينتمى إلى المخابرات المصرية وحدَها .

عقد (أوكونور) حاجبيه، واختلس النظر إلى (أدهم)، الذى عقد ساعديه أمام صدره ، واستند إلى حافة المكتب مبتسمًا ، هادئًا ، وقال :

— إنه يدّعى أنه قد ترك المخابرات المصريّة ، بعد أن اختلس منها مليون دولار .

هتفت (سونيا) فى انفعال :

— مليون دولار ؟!.. هُرَاء .. ستكون أكثر أهل الأرض غباءً وحماقة ، لو أنك صدّقت حرفًا واحدًا من ذلك يا جنرال (أوكونور) ، لقد تلقّى (أدهم) عروضًا بعشرة أضعاف هذا المبلغ ؛ لخيانة وطنه ، ولكنه رفضها ساخرًا .. أفِقْ من الخُدعة ، قبل أن يُوقظك هو منها برصاصة .. إن (أدهم

صبرى) لم ولن يخون بلاده أبدا ، حتى ولو حصل فى مقابل
ذلك على مُلك الأرض .

جعلت عبارتها ولهجتها (أوكونور) يتبادل نظرة حائرة
متوترة ، مع ضابطه الأوّل (دوايت) ، قبل أن يهتف فى
عصبيّة :

ــ كيف تبرّرين رغبته فى الانضمام إلينا إذن؟. إننا لم
نقاتل المخابرات المصريّة قطُّ ، ولم نكن ننوى ذلك أبدا !!

رمقت (سونيا) (أدهم) بنظرة كراهية عنيفة ، وهى
تميل نحو (أوكونور) ، قائلة :

ــ اسمع يا (أوكونور) .. إن (أدهم صبرى) هذا
شيطان مُخادع ، والشىء الوحيد الذى أثق به ، كما أثق فى
شخصيتى ، هو أنه هنا لغرض ما ، يبتعد كل البعد عن رغبته
فى التعاون معك ، ومع صقورك ، ولو أنك منحتنى الفرصة ،
فسأثبت لك صدق ذلك .

سألها فى اهتمام :

ــ كيف ؟

أجابته فى حزم :

ــ صحيح أن ذلك الشيطان قد تسبَّب فى طردى من

(الموساد) ، إلا أننى مازلت أرتبط ببعض العلاقات الجيّدة ،
مع عملاء سابقين لنا ، فى أوساط المخابرات المركزية
الأمريكية ، دعنى أتصل بأحدهم ، وسأخبرك عن سبب
وجود (أدهم صبرى) هنا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول فى هدوء :

ــ كم تروق لى مشاهدة تلك التجربة الطريفة ؟

نقل (أوكونور) عينيه بين وجهى (أدهم) و (سونيا)
فى ريبة ، ثم اختطف سمّاعة هاتفه ، وقال :

ــ حسنًا .. إننى أمنحك الفرصة .

التقطت (سونيا) سمّاعة الهاتف من كفّه فى رشاقة ،
وهى تمنحه ابتسامة فاتنة مغرية ، قائلةً فى دلال أنثوىّ آسر :

ــ شكرًا يا جنرالى المحبوب .

كان من الواضح أن ذلك قد راقَ لـ (أوكونور) ، فقد
تألّقت عيناه فى جذَل ، وهو يرمق (سونيا) فى افتتان ، مما
دفع ابتسامة ساخرة أخرى إلى شفتى (أدهم) ، الذى بقى
واثقًا هادئًا ، وهو يعلم جيّدًا أنه ما من رجل ، فى المخابرات
المركزية الأمريكية كلها ، يعلم بحقيقة مهمّته ، سوى (توماس
ألبى) ، مدير المخابرات الأمريكية ، وثلاثة من أخلص رجاله
ــ بحسب قول (توماس) ــ واكتفى بمراقبة (سونيا) فى

استخفاف ، وهى تضغط أزرار الهاتف ، وتنتظر فى عصبيّة واضحة ، قبل أن تقول ، فى لهجة يغلب عليها الانفعال :

ــ طاب مساؤك يا (إكس ٧) .. أنا (إم ٣٠) .

وصمتت لحظة أخرى ، قبل أن تقول فى اهتمام عصبىّ :

ــ هل تعرف ذلك الضابط المصرىّ (أدهم صبرى) ؟.. نعم .. الشيطان المصرىّ .. هل لديك ما يفيد استعانة مخابراتكم به ، ضدّ (صقور أوكونور) .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، ثم لم تلبث أن خبت ، أمام ذلك البريق الظافر ، الذى ملأ عينى (سونيا) ، وهى تقول :

ــ هكذا ؟!.. يا له من خبر !.. ستنال مكافأة جيّدة مقابل ذلك يا (إكس ٧) .

ثم وضعت سمّاعة الهاتف ، وهى تشير إلى (أدهم) ، قائلةً لـ (أوكونور) فى جذل :

ــ لقد صدقت توقعاتى يا جنرال .. إن (أدهم صبرى) يعمل هذه المرّة لحساب المخابرات الأمريكية ، بهدف تحطيم وحدتك كلها .

اتسعت عيون (أوكونور) و (دوايت) فى دهشة ، على حين أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ لخدعة طريفة يا عزيزتى (سونيا) .. أنا أيضًا يمكننى أن أتحدّث إلى شخص وهمىّ بواسطة الهاتف ، وأخبره أننى (إكس . واى . زد ٧٠٧) ، ثم أنهى المحادثة ، وأقول إنه قد اعترف لى بتبعيتك لـ (روبن هود) ورجاله .

صاحت (سونيا) فى وجهه فى ثورة :

ــ أخطأت هذه المرة يا (أدهم صبرى) ، لقد كانت المحادثة الهاتفية ، بكل ما تحويه من معلومات ، حقيقية ، وستُوقن من ذلك ، حينما أخبرك أن (توماس ألبى) قد زارك بنفسه ، فى منزلك فى (القاهرة) ، مع ثلاثة من رجاله ، وأسند إليك هذه المهمّة ، مقابل قائمة كاملة بأسماء عملاء (الموساد) فى الشرق الأوسط .. هل يمكنك إنكار ذلك ؟

كانت الدهشة الواضحة على وجه (أدهم) خير دليل على صحّة قولها ؛ لذا فلم يضع (أوكونور) و (دوايت) وقتًا ، وارتفع مسدّساهما فى وجه (أدهم) ، وصاح (أوكونور) فى غضب صارم :

ــ لقد انكشفت لعبتك أيها المصرىّ ، وحانت لحظة مصرعك .

* * *

٧ ـ ضد الصقور ..

تلاشى الخدر من رأس (منى) فى بطء ، وشعرت بصداع خفيف ، وهى تفتح عينيها ، وتتأوه مغمغمة فى بطء :

ـ أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

شعرت بيد حانية تربت على كفها ، وسمعت صوتًا هادئًا يقول :

ـ لقد انتهى كل شيء يا (منى) .. انتهى كل شيء فى نجاح .

بدا لها الصوت مألوفًا ، على حين كانت الصورة أمامها مهتزة ، فغمغمت فى وهن :

ـ (أدهم) ؟! .. أهو أنت ؟ .. هل هزمت (أوكونور) وصقوره ؟

عادت اليد الحانية تربت على كفها ، وعاد الصوت الهادئ يقول :

ـ فلتعشم أن يكون ما نطقت به نبوءة يا (منى) ، فلست (أدهم) ، وإنما أنا (أحمد) .

أعاد إليها الجواب وعيها ، فتطلعت إلى وجه الدكتور (أحمد صبرى) فى ضعف ، وهى تغمغم :

ـ دكتور (أحمد) .. هل عاد (أدهم) ؟

ابتسم ، وهو يجيب :

ـ ليس بعد يا (منى) ، ولكنه سيعود ظافرًا بإذن الله .

عادت تغلق عينيها ، وتسترخى فى فراشها ، على حين استطرد هو :

ـ المهم أن الجراحة قد نجحت ، وسيستعيد ذراعك كفاءته صباح الغد على الأكثر .

جاءهما صوت الملازم (براون) ، الذى يقف ـ كعادته ـ عند باب الحجرة ، وهو يقول :

ـ رائع ، سنحصل على قدر من النصر إذن ، على أية حال .

التفتا إليه فى دهشة ، وقال الدكتور (أحمد) فى قلق :

ـ هل بلغتك أية أخبار عن (أدهم) ؟

مط شفتيه ، وهو يهز رأسه نفيًا ، قائلًا :

ـ ليس بعد ، ولكن ذلك الوغد (دوايت) ، الذراع اليمنى لـ (دافيد أوكونور) ، استقبل منذ ساعات ، فى مطار

(واشنطن) ، امرأة باهرة الحسن ، واصطحبها فى هليوكوبتر خاصة إلى القلعة ..

تبادل الدكتور (أحمد) و (منى) نظرة قلقة ، قبل أن تسأله (منى) فى توتُّر :

ــ هل توصَّلت إلى اسم تلك المرأة ؟

لوَّح (براون) بكفِّه ، وهو يقول :

ــ نعم ، ولكن هذا لم يفِدنا إلى شىء ، فاسمها غير مسجَّل فى أيَّة ملفَّات هنا .

سألته (منى) فى توتُّر :

ــ وما اسمها ؟

هزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ــ (سونيا جراهام) .. هل يَعْنى لك شيئًا ؟

هبَّت من فراشها فى ذُعر ، وهى تهتف :

ــ بل يَعْنى الكثير .

وتحوَّلت إلى الدكتور (أحمد) ، مستطردة فى فزع شديد :

ــ وقد يَعْنى أنها نهاية (أدهم صبرى) .. نهايته المُفْزعة .

* * *

كان الأمر مفاجأة حقيقية لـ (أدهم) ، الذى لم يتوقَّع لحظة

وجود خائن ، بين الرجال الثلاثة ، الذين انتقاهم (توماس ألبى) من منظمته كلها ، ليُوليهم ثقته وعنايته ..

ولكن (أدهم صبرى) لم يكن بالرجل ، الذى تجمِّده المفاجأة ، أو تفقده صوابه ؛ لذا فما إن رأى مسدَّسى (أوكونور) و (دوايت) يرتفعان نحوه ، حتى شرع يعمل على الفَوْر ، وبلا تردُّد ..

وقفزت قدمه فى سرعة ، تركل مسدَّس (أوكونور) ، الذى كان أقرب الرجلين إليه ، ثم اندفعت قبضته تهْوى على فكِّ الرجل بلكمة ساحقة ، قبل أن ينحنى متفاديًا رصاصة (دوايت) ، ثم يلتقط مسدَّس (أوكونور) ، ويطلق منه رصاصة مباشرة على مسدَّس (دوايت) ..

وصرخت (سونيا) فى ثَوْرة :

ــ كلَّا .. إنك لن تهرب هذه المرَّة أيضًا .

ثم قفزت متعلِّقة برقبته ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (دوايت) نحوه ..

وفى حركة سريعة ، أدار (أدهم) ذراعيه خلف ظهره ، وانتزع (سونيا) فى قوَّة ، وألقى بها فوق (دوايت) ، فسقط الاثنان أرضًا ، و (دوايت) يصرخ فى جُنُون :



وانتزع (سونيا) فى قوة، وألقى بها فوق (دوايت) فسقط الاثنان أرضًا

— النجدة !! إلىّ يا رجال ..

وتوقف (أدهم) جزءًا من الثانية؛ ليدرس موقفه فى سرعة ..

كان يحفظ تصميم القلعة، ومواضعها، عن ظهر قلب، بعد أن أطلعه (توماس ألبى) على تصميماتها الأصلية، المسجّلة، والمحفوظة فى المخابرات، وكان يعلم أن الوصول إلى حجرة التحكّم، التى تحوى كل الأجهزة والأزرار، التى يرغب فى تدميرها، مستحيل تمامًا، لو أن القوّة هى السبيل الوحيد إليه ..

كان عليه إذن أن يخطّط فى سرعة للفرار، لا للهجوم، وأن يؤجّل انتقامه من (أوكونور) وصقوره إلى مرحلة قادمة، خاصةً بعد أن أوضحت أصوات أقدام (صقور أوكونور)، أنهم سيقتحمون حجرة قائدهم بعد لحظة واحدة ..

وقفزت (سونيا جراهام) نحو مسدّس (دوايت)، الذى سقط فى ركن الحجرة، والتقطته فى خفّة ومهارة، وصوّبته نحو (أدهم)، وهى تصرخ :

— لن تغادر هذا المكان حيًّا هذه المرّة يا (أدهم).

ولكن (أدهم) بلغها بقفزة واحدة، وركل المسدّس الذى تمسك به، وهو يقول فى سخرية :

— لقد بَلِيَتْ تلك العبارة يا عزيزتى (سونيا) .. لقد سمعتها منك عشرات المرّات من قبل .

واقتحم (صقور أوكونور) المكان فى اللحظة ذاتها ، وارتفعت فُوّهات مدافعهم الآلية فى وجه (أدهم) ، واندلع الجحيم ..

* * *

كان (أدهم) كالمعتاد ، هو الأسبق فى إطلاق النار ..

لقد استعاد مشهد اختبار الرّماية ، وتصوّر أنه يطلق النار على عشرة صقور خشبية ، مع فارق واحد ..

كان عدد الصقور البشرية ، الذين اقتحموا الحجرة ستة عشر رجلًا ..

وكانت خزانة مسدسه تحمل خمس رصاصات فحسب ..

وأطلق (أدهم) رصاصات مسدسه على الصقور ، وأصاب خمسة منهم ، بعدد رصاصات مسدسه ، ثم تراجع فى سرعة بالغة ، قبل أن يعاود الصقور انقضاضهم ، ورفع ذراعيه ؛ ليحمى وجهه ، وهو يقفز نحو نافذة مكتب (أوكونور) ، ويخترق زجاجها ، ويهوى من ارتفاع طابق واحد ، إلى ساحة القلعة ..

وأدهشت مبادرته حارسَى السّاحة ، حينما هبط على قدميه ، واندفع فجأة نحو الهليوكوبتر ، التى جاء بها (دوايت) ، حينما أحضر (سونيا) ..

واعترض الحارسان طريق (أدهم) ، ورفعا فُوّهتَىْ مدفعيهما فى وجهه ، ولكنه انزلق فجأة ، قبل أن يلفظهما ، وترك رصاصاتهما تشق الهواء فوقه ، ثم قفز واقفًا على قدميه ، فى مواجهة الحارسين تمامًا ، وانطلقت قبضته اليمنى فى فكّ أوّلهما كالقنبلة ، على حين غاصت اليسرى فى معدة الثانى كالصاعقة ، فسقط الأوّل فاقد الوَعْى على الفَوْر ، وانثنى الثانى ، وهو يتأوّه فى ألم ، فبادره (أدهم) بركلة قوية من ركبته لوجهه ، وانتزع مدفعه الآلىّ ، وقفز داخل الهليوكوبتر ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجال (أوكونور) إلى الساحة ، وبرزت (سونيا) من النافذة المحطّمة ، وهى تصرخ كمن أصابها مسٌّ من الجنون :

— اقتلوه .. لا تدعوه يُفْلت .. اقتلوه .

كان إلقاء الأمر سهلًا ، ولكن تنفيذه لم يكن كذلك ، خاصّةً حينما أدار (أدهم) محرّك الهليوكوبتر بيده اليمنى ، وهو يطلق رصاصات مدفعه بيده اليسرى ، واستعاد الجميع

مشهده ، وهو يطلق النار على الصقور الخشبية العشرة ، فقفزوا يحتمون بمداخل الساحة ، فيما عدا (والترز) ، الذى صرخ ، وهو يندفع نحو الهليوكوبتر :

ـــ لست أخشاك أيها المصرى .. إننى سأهزمك ، وسأحتفظ برأسك كتذكار ..

انتهى صراخه المتوعّد بصرخة ألم ، حينما أصابت رصاصات (أدهم) ساقيه ، فى نفس اللحظة التى بدأت فيها الهليوكوبتر ترتفع ، فقفزت (سونيا) تختطف مدفعًا آليًا ، من أحد الصرْعى من رجال (أوكونور) ، وهى تصرخ :

ـــ لن تُفلت منّى هذه المرّة يا (أدهم صبرى) .. لن تفلت منّى أبدًا ..

ولكن الهليوكوبتر كانت قد ارتفعت بالفعل ، وأصبحت فى مستوًى يعلو أسوار القلعة ، فصرخت مستطردة :

ـــ أبدًا .

وأطلقت رصاصاتها نحو الهليوكوبتر فى ثورة ، ولكن (أدهم) انحرف بالهليوكوبتر ، وتجاوز أسوار القلعة ، وهو يواصل إطلاق رصاصات مدفعه ، حتى يظلّ الصقور فى مخابئهم ..

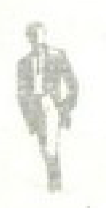
وامتلأت قلوب الجميع بالغيظ ، وهم يرَوْن (أدهم) يغادر قلعتهم ، التى كانوا يظنون أنه ما من مخلوق يغادرها حيًّا ، على الرغم منهم ، على حين هتفت (سونيا) :

ـــ لقد أصبت خزّان الوقود بالهليوكوبتر .. لقد فعلت .. أنا واثقة من ذلك .. إنه لن يبتعد كثيرًا .

وكانت على حقّ ..

لقد أدرك (أدهم) ذلك بعد لحظات من تخطّيه أسوار القلعة ، حينما رأى مؤشّر الوقود يشير إلى الصفر ، وسمع تلك الحشرجة التى أصدرتها محرّكات الهليوكوبتر ، قبل أن تتوقّف تمامًا ، وتبدأ الهليوكوبتر فى السقوط ، من فوق الجبل ، الذى تحتل قمته (قلعة الصقور) ..

* * *



٨ ــ المُطـارَدَة ..

شعر (أدهم) بحَنَقٍ شديد على طائرات الهليوكوبتر ، التى ما إن تتوقَّف محرِّكاتها ، حتى تهوِى كالحجر ، على عكس الطائرات ذات الأجنحة ، التى يمكن توجيهها بعد نفاد وقودها ، كما لو كانت طائرة شراعية بلا محرِّكات ، ولكنَّ حَنَقه هذا لم يزد على جزء من الثانية ، عاد عقله بعدها يعمل فى سرعة خرافيَّة ، لإيجاد مَخرَج من ذلك المَأزق المميت ..

وتذكَّر عقل (أدهم) أن كل الطائرات ، بجميع أنواعها وطرازاتها ، تحوى بالضرورة مظلَّة هبوط ، هنا أو هناك ، فدار ببصره فى أرجاء الهليوكوبتر الصغيرة ، بحثًا عن مكان يصلح لحفظ مظلَّة هبوط ، إلا أنه لم يكن هناك وجود لمثل هذا المكان ..

بل كان ..

هذا ما استنتجه عقل (أدهم) ، والهليوكوبتر تهوِى كالحجر ، فى سرعة مخيفة ، فانتزع ظهر مقعده فى قوَّة ، ووجدها ..

كانت المظلة الاحتياطية تستقر فى نظام خلف المقعد ، فالتقطها فى سرعة ، وثبَّتها على ظهره بأصابع ماهرة خبيرة ، وتطلَّع خارج الطائرة ، ليختبر المسافة الباقية ، قبل أن ترتطم الهليوكوبتر بمنحدر الجبل ، ثم دفع جسده خارجها ، بكل ما يملك من قُوَّة ..

وانفصل (أدهم) عن جسم الطائرة الهاوية ، وسبح لحظات فى الهواء ، فى انحدار شبه أفقى ، قبل أن يدوِّى خلفه صوت انفجار الهليوكوبتر ، عند ارتطامها بمُنْحَدِر الجبل ..

وهنا جذب (أدهم) حبل مظلَّته ، التى ارتفعت فوق رأسه ، وخفَّفت سرعة هبوطه دفعة واحدة ، فأطلق ضحكة ظافرة ساخرة ، وهو يهتف :

ــ لقد نجوت .. لقد شاء الله (العلىّ القدير) أن أغادر (قلعة الصقور) حيًّا ؛ لأواصل القتال ضدهم .. إنها مشيئة الله (عزّ وجلّ) .

لم يكد يُتمُّ هُتافه ، حتى صكَّ مسامعه صوت محرِّكات طائرتى هليوكوبتر ، تندفعان نحوه ، فأدار عينيه إلى مصدر الصوت ، وهو يهبط نحو الطريق الأسفلتى ، الذى يمرُّ عند سفح الجبل ، ورأى طائرتى الهليوكوبتر ، اللتين تحملان شعار (صقور أوكونور) .

وفجأة ، انهمرت رصاصات الصقور حوله كالمطر ...

وبدأت معركة جديدة ..

معركة بين طائرتي هليوكوبتر .. ورجل بمظلة ..

* * *

من أعظم الصفات ، التي يتحلَّى بها (أدهم صبري) ، أن عقله لا يتوقَّف عن التفكير ودراسة الأمور لحظة واحدة ، مهما بلغ حجم المخاطر التي تحيط به ، ومهما بلغت دِقَّة مَوْقفه ..

وعلى الرغم من الرصاصات ، التي تنهمر حوله ، درس (أدهم) الموقف في سرعة ، وأدرك أن طائرتي الهليوكوبتر من النوع الصغير الحجم ، الذي يحمل راكبين فحسب ، والمزوَّد بمدفعين آليَّين من نوع (الموتزر) ، والذي يحتلّ خزّان الوقود به تلك المساحة ، ما بين كابينة القيادة ، ومروحة الذيل ..

ومن حسن الحظ أن (أدهم) كان يحمل نفس المدفع الآليّ ، الذي استولى عليه من أحد حارسي الساحة ..

وبكل هدوء ، وثقة ، ودِقَّة ، صوَّب (أدهم) مدفعه الآليّ إلى خزّان وقود الهليوكوبتر الآليّ ، متجاهلاً كل الرصاصات التي تُطلق حوله ، وأطلق النار ..

وفوجئ قائد الهليوكوبتر الثانية بانفجار الأولى بغتة ، وتناثر أشلائها ، فصرخ في غضب هادر :

— يا للشيطان !!

صاح به رفيقه في جُنُون :

— انقضّ على ذلك الوغد .. لا تُطلق عليه النيران ، بل مزِّقه بمراوح الهليوكوبتر .. هيَّا .

انحنى الأوَّل بالهليوكوبتر في مهارة ، متفاديًا رصاصات (أدهم) ، ثم اندفع نحوه في شراسة ، وهو يحاول توجيه مروحة الهليوكوبتر الضخمة نحو جسد (أدهم) ، تمزيقه إربًا ..

ورأى (أدهم) الهليوكوبتر تنقضّ عليه في شراسة ، والموت يدور مع مراوحها ، فجذب خيوط مظلّته في عنف ، وبدّل مسار هبوطه في اللحظة الأخيرة ، قبل أن تمزّقه مروحة الهليوكوبتر ..

ولكن المروحة أصابت خيوط مظلّته ، ومزّقتها تمامًا ، وفقد (أدهم) وسيلة الهبوط البطيء ، وهو على ارتفاع مائتين وثلاثين مترًا عن سطح الأرض ..

وتمامًا مثل الهليوكوبتر الأولى ، هَوَى جسد (أدهم) نحو الطريق الأسفلتي الصلب ، بسرعة تزيد قليلاً على عشرة

أمتار فى الثانية الواحدة ، وهو يصحب معه رفيقا واحدًا ..

الموت ..

* * *

نقلت إلينا كتب التاريخ مقُولة شهيرة لقائد عظيم ، قال يومًا :

ــ فى المعارك المصيرية ، قد يكون الفيصل بين النصر والهزيمة ثانية واحدة ، امتزجت فيها الإرادة بالصلابة والقوة والحماس ، فتحوّل كل هذا إلى مخلب ضخم ، انتزع النصر انتزاعًا ، من بين فكّي الهزيمة ..

ولسنا ندرى ما إذا كان (أدهم) قد قرأ تلك العبارة أم لا ، على الرغم من معرفتنا لشغفه وولعه الشديدين بمطالعة كتب التاريخ ، إلا أنه من المؤكّد أن (أدهم) قد طبّق هذا المبدأ حرفيًا ، مع فارق بسيط ، وهو أنه قد احتاج إلى عُشر الثانية فحسب ..

لقد مزّقت مراوح الهليوكوبتر خيوط مظلّته ، وتركت جسده يَهوِى ، ولكنه ، بدلًا من أن يسقط رأسيًا ، كما تقتضى قوانين الجاذبية الأرضية ، دفع جسده إلى الأمام ، وهَوَى لمتر واحد ، قبل أن يتشبّث بالهليوكوبتر فى قوّة ..

واختلّ توازن الهليوكوبتر ، حينما أضيف إليها ثقل جسد (أدهم) بغتة ، فمالت إلى اليسار ، وأصيب قائدها وزميله بذُعر هائل ، وهما يحاولان إعادة التوازن إليها ، وهى تنخفض فى سرعة مخيفة ..

وفجأة .. وجد الاثنان (أدهم) بينهما ، داخل كابينة القيادة ..

وعلى الرغم من عُنف المفاجأة ، نجح أحدهما فى إخراج مسدّسه ، إلا أنه لم يجد الوقت لتصويبه ، وإطلاقه ، فقد هوَت قبضة (أدهم) على فكّه كالقنبلة ، فهشّمت أسنانه ، وألقته خارج الهليوكوبتر ، ليهوِىَ من ارتفاع ستين مترًا ..

وتشبّث قائد الهليوكوبتر بعصا القيادة ، وهو يصرخ :

ــ مستحيل !!.. مستحيل !!..

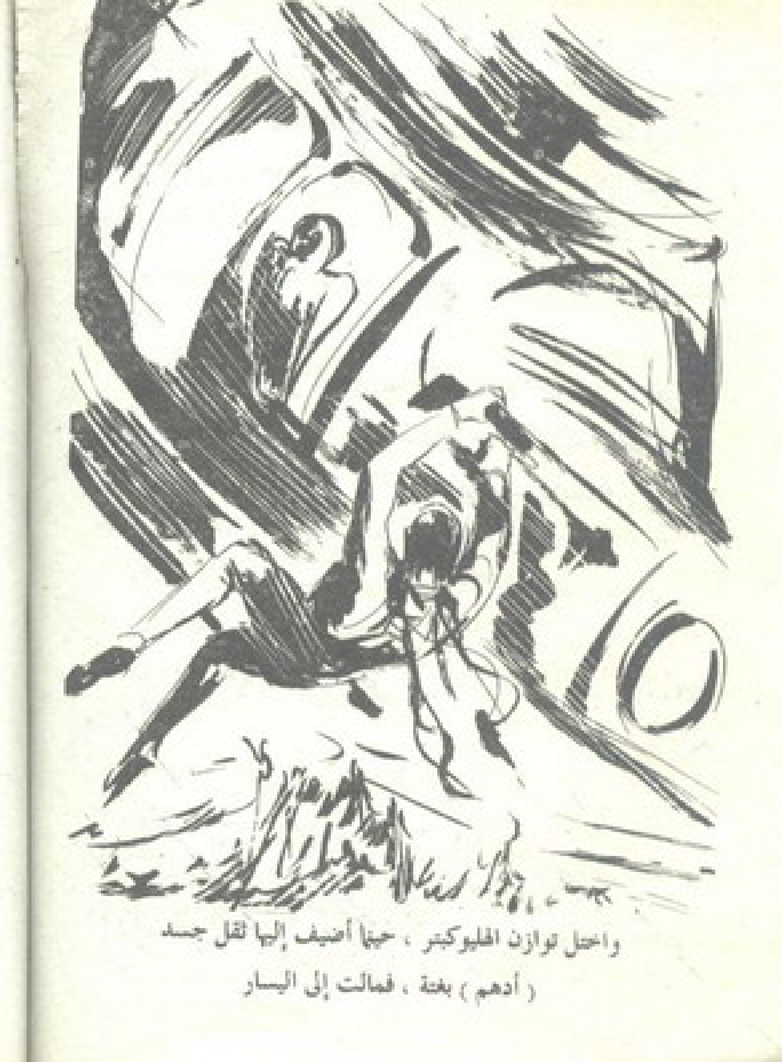
طوّق (أدهم) عنق الرجل بذراعه فى قوّة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ اصعد بالهليوكوبتر أيها الوغد ..

ولكن الرجل صرخ فى جُنون :

ــ مستحيل !!.. إنك لن تنتصر أبدًا .. أبدًا ..

وفى ضغطة قويّة ، أودعها كل ثورته وغضبه ، حطّم



واختل توازن الهليوكبتر ، حينما أضيف إليها ثقل جسد (أدهم) بغتة ، فمالت إلى اليسار

الرجل ذراع القيادة ، وترك الهليوكوبتر تندفع فى مسار مستقيم مائل ، نحو الأرض ، وقد قرّر أن يضع نهايته بنفسه ، ما دام سيصحب معه (أدهم صبرى) ..

* * *

كان تعديل مسار الهليوكوبتر مستحيلًا تمامًا ، بعد أن تحطّمت ذراع القيادة ، وكانت الهليوكوبتر نفسها تندفع نحو الأرض فى سرعة مخيفة ؛ لذا فقد تخلّى (أدهم) عن عنق الرجل ، وكال له لكمة قويّة ، وهو يهتف :

ـــ أيها الوغد .

وراقب انحدار الهليوكوبتر نحو الأرض فى حذر ، حتى أصبحت المسافة التى تفصله عن سطح الأرض تقرُب من عشرة أمتار ، فقفز ..

ولم تكد قدماه تمسّان الأرض ، حتى انبطح على وجهه ، وأخفى رأسه بذراعيه ، ليحميه من ذلك الانفجار العنيف ، الذى دوّى فور ارتطام الهليوكوبتر بالأرض ، ومن تلك الشظايا التى تناثرت فى قوة ..

وتأجّجت النيران فى الهليوكوبتر .. أو بمعنى أدق فى بقاياها ، على حين نهض (أدهم) فى بطء ، وتطلّع بنظرات

خاوية إلى الهليوكوبتر المحطّمة ، ثم أدار بصره فى الطريق ، بحثًا عن سيارة تعبر المكان ، يمكنه أن يستقلها إلى قلب (واشنطن) ..

وبرزت سيّارة من الأفق ، لم تلبث أن اقتربت فى سرعة ، فلوّح لها (أدهم) بذراعيه ، حتى توقّفت على قيد متر واحد منه ، وأطلّ من نافذتها وجه شاب أمريكى أشقر ، نقّل بصره فى دهشة بين (أدهم) ، وحطام الهليوكوبتر ، قبل أن يهتف :

— هل تعرّضت إلى حادث ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، بدا للشاب عجيبًا ، وهو يقول :

— نعم .. حادث بسيط .. هل يمكنك أن تقلّنى إلى (واشنطن) ؟

ظلّ الشاب يحدّق فى وجهه فى دهشة ، على حين ارتفع صوت أنثوى ، من داخل السيّارة ، يقول :

— بالطبع .. إنه طريقنا .

انتبه (أدهم) — فى تلك اللحظة — إلى فتاة شقراء ، تجلس على المقعد المجاور للشاب ، وتضمّ إلى صدرها هِرّة بيضاء صغيرة ، تداعب فراءها بأناملها ، فابتسم وهو يقول فى هدوء :

— معذرة يا سيّدتى ، لست أدرى كيف لم أنتبه إلى جمالك الفاتن فى اللحظة الأولى .

ابتسمت الشقراء ، وقد راقت لها عبارته ، وربّتت على كتف الشاب ، قائلةً :

— لا مانع من اصطحابه معنا يا (بل) .. أليس كذلك ؟

غمغم الشاب ، فى لهجة من لا يروقه الأمر :

— بلى .. لا مانع .

اتجه (أدهم) نحو السيارة ، وهو يبتسم قائلًا :

— شكرًا يا سيّدتى .. شكرًا يا سيّدى .. أعِدكما بأن أكون ضيفًا خفيفًا ، وألا أسبّب لكما أيّة متاعب على الإطلاق .

ولكن وعده هذا لم يتحقّق أبدًا ..

فعلى حين غرّة ، تناهى إلى مسامعه أزيز خافت ، جعله يرفع عينيه إلى السماء ، حيث رأى هليوكوبتر ثالثة تشقّ طريقها إليه ، وهى تحمل شعار (صقور أوكونور) ..

وكانت هذه الهليوكوبتر بالذات أشدّ خطورة من سابقتيها ، على الرغم من أنها كانت تحمل قائدًا واحدًا فحسب ، إلا أن هذا القائد كان أنثى مفعمة بالكراهية والحقد ...

أنثى تُدعى (سونيا جراهام) ..

* * *

لم يكن هناك وقت للمجاملات والأساليب المهذّبة ..
ولم تكن (سونيا) لتسمح بمثل هذا الوقت ..
لذا فقد تحرّك (أدهم) في سرعة ، ودفع الشاب نحو المقعد المجاور ، وهو يقول في حِدّة :

— ابتعد .. سأتولّى أنا القيادة .

اتسعت عينا الشاب في مزيج من الذُعر والدهشة ، إزاء هذا التحوُّل المفاجئ ، وصرخت الشقراء في خوف ، على حين قفز (أدهم) إلى مقعد القيادة ، ونقل ذراع السرعة ، وضغط دوّاسة الوقود في قوّة ، فأطلقت إطارات السيّارة صُراخها عاليًا ، ثم دارت في قوّة ، لتنطلق السيّارة في سرعة مفاجئة ، والشاب يصرخ في ذُعْر :

— ماذا تفعل ؟.. إنها سيارتي .

أجابه (أدهم) في هدوء ، وهو يراقب الهليوكوبتر في مرآة السيارة الجانبية :

— أعلم ذلك ، ولكن الظروف تحتّم مصادرتي لها مؤقتًا ، حفاظًا على حياة الجميع .

هتفت الفتاة في ذُعْر :

— ماذا تعني ؟

انحرف فجأة بالسيّارة ، وجاءها الجواب على هيئة سيل من الرصاصات ، انهمر حول السيّارة ، من مدفع الهليوكوبتر ، فأطلقت صرخة مدوّية ، وجحظت عينا الشاب في رُعْب ، على حين هتف بهما (أدهم) في صرامة :

— انتقلا إلى المقعد الخلفي .. هذا أكثر أمنًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى كانا قد قفزا إلى المقعد الخلفيّ ، والفتاة تحتضن هِرّتها في رُعْب ، وتلك الأخيرة تموء في عصبيّة بالغة ، و (أدهم) ينطلق في مسار متعرّج ، محاولًا تفادي رصاصات هليوكوبتر (سونيا) ، التي راحت تصرخ في جُنُون :

— سأقتنصك هذه المرّة يا (أدهم) .. سأقتنصك حتمًا ..

ولكن (أدهم) زاد من سرعة سيّارته ، حتى بلغ محرّكها أقصى طاقته ، وهو يميل يَمْنَة ويَسْرَة ، والسيّارة تتأرجح في قوّة ، ورصاصات (سونيا) تلاحقها في إصرار وشراسة ..
وفجأة ، امتلأت أعماق (سونيا) بغيظ هائل ..
لقد نفدت ذخيرتها ..
وراحت تصرخ في مرارة وكراهية :

— كلّا .. ليس الآن .. ليس الآن ..

وقفزت إلى عقلها الوحشيّ فكرة مباغتة ، فزادت من سرعة الهليوكوبتر حتى سبقت سيّارة (أدهم) ، وهى تطلق ضحكة عصبيّة ، وتهتف :

ـ حسنًا يا (أدهم صبرى) .. دعنا نرى كيف ستواجه هذه المفاجأة ..

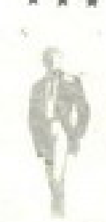
ثم انحدرت بالهليوكوبتر فجأة ، وقفزت خارجه ، وتركتها تندفع نحو مقدّمة سيّارة (أدهم) ، وهى تصرخ :

ـ إنها النهاية يا (أدهم) .. نهاية صراعنا الطويل .

وتألّقت عيناها فى ظفر ، حينما رأت الهليوكوبتر ترتطم بالأرض ، وتتحطّم على بعد متر واحد ، من مقدّمة سيّارة (أدهم) ، التى تنطلق بسرعتها القصوى ..

ولم يكن هناك مفرٌّ من الاصطدام ..

* * *



٩ ـ الحليف ..

« كلّا يا (منى) .. لست أسمح لك بالذهاب ، أو حتى بمغادرة فراش المرض الآن » ..

نطق الدكتور (أحمد صبرى) هذه العبارة فى حزم بالغ ، على الرغم من هدوء نبراته ، وهو يدفع (منى) من كتفيها فى رفق ، ليعيدها إلى فراشها ، فهتفت فى حدّة :

ـ مستحيل يا دكتور (أحمد) .. لن نترك (أدهم) بمفرده ، فى مواجهة هؤلاء الأوغاد .

عقد الدكتور (أحمد) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول فى مرارة :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل من أجله يا (منى) ؟

صاحت فى عناد :

ـ أى شىء .. المهم ألا نقف ساكنين ..

مال الدكتور (أحمد) نحوها ، وهو يقول فى حزم وصرامة :

— اسمعيني جيدًا يا (منى) .. إن (أدهم) شقيقي .. شقيقي الوحيد ، وأنا أجدر الجميع بالقلق عليه ، والخوف من أجله ، ولكن والدنا (رحمه الله) علّمنا شيئًا هامًا ، ألا وهو أن النصر يتأتى لمن يُحسن التفكير ، ويدّخر قوته للّحظة المناسبة ، ومنطق العقل يقول إن وجودنا إلى جوار (أدهم) ، لن يمنحه مزيدًا من القوّة ، بل قد يعوق حركته ، وأنّ أفضل ما نفعله ، في الوقت الحالي ، هو أن ننتظر شفاء ذراعك ، ثم نبدأ العمل .

بكت في مرارة ، وهي تقول :

— حينئذ قد يكون كل مايمكننا عمله هو أن نجمع أشلاءه .

ارتجفت شفتاه ، وهو يغمغم في ألم :

— ستكون هذه مشيئة الله (عزّ وجلّ) ، ولسنا نملك ردًا لقضائه .

عقد الملازم (براون) حاجبيه ، وهو يستمع إلى حديثهما في صمت ، ثم نصب قامته في حزم ، وأطلّت الصرامة من عينيه ، وهو يقول :

— ولكننا نملك قرارنا على الأقل ، وإلا فما كان هناك الثواب والعقاب .

واستدار يزمع الانصراف ، فاستوقفه الدكتور (أحمد) ، وهو يسأله في قلق :

— إلى أين ؟

أجابه الملازم (براون) ، دون أن يلتفت :

— ينبغي أن تبقى الفتاة هنا ؛ حتى تُشفى ذراعها ، وأن تبقى أنت إلى جوارها ، أما أنا ، فمكاني ليس هنا ، بل إلى جواره .

وصمت لحظة ، ثم فتح باب الحجرة ، وهو يستطرد في حزم :

— إلى جوار الرجل ، الذي يقاتل لمنع طغيان (أوكونور) ورجاله .

وأغلق الباب خلفه في قوّة ..

* * *

كان من المستحيل أن يتفادى (أدهم) حطام الهليوكوبتر ، وهو ينطلق بتلك السرعة الفائقة ، كما كان من الخطورة أن يضغط كابح السيّارة ، حتى لا تنقلب دفعة واحدة ، أو تزحف إطاراتها ، لتصطدم بالحطام ..

ولكن عينَي (أدهم) التقطتا جزءًا مائلًا من الحطام ،



وأمام عينى (سونيا جراهام) الذاهلتين ، المحنقتين ، اندفعت إطارات السيارة فوق الجزء المائل من الحطام .

يصنع مع استقامة الطريق زاوية نصف قائمة ، فأمال عجلة القيادة نحوه ، ثم أعادها إلى الوضع المباشر ، وبدلًا من أن يخفف سرعته ، زاد من ضغطه على دوّاسة الوقود ، حتى كادت قدمه تخترق أرضية السيّارة ، فى نفس الوقت الذى أعاد فيه ذراع السرعة إلى الوضع الحيادىّ ..

وأمام عينى (سونيا جراهام) الذاهلتين ، المحنقتين ، اندفعت إطارات السيّارة فوق الجزء المائل من الحطام ، ثم قفزت السيّارة كلها ، كأنما قد تحوّلت بغتة إلى طائرة صغيرة ، وشقّت الهواء ، وهى تحلّق فى مشهد مَهيب مُخيف ، قبل أن تميل مقدّمتها إلى الأمام ، وتهبط فى سرعة ، ثم ترتطم إطاراتها بالأرض فى قوّة ، فتقفز كأنها أحد حيوانات (الكانجارو) ، ثم تعود لترتطم بالأرض ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها (أدهم) قدمه عن دوّاسة الوقود ، وأعاد ذراع السرعة إلى الموضع الرابع ، وبدأ يضغط كمّاحة السيّارة فى رفق ، حتى يمكنه السيطرة على مسارها ..

وكان ردّ فعل ذلك الموقف الخرافىّ عجيبًا ومتباينًا ..

لقد ظلّت (سونيا) تحدّق فيما حدث بذهول ، على الرغم من معرفتها لبراعة (أدهم) المذهلة ، ثم لم تلبث أن صرخت فى ثورة :

— أيها الحقير .. أيها المصرى الحقير .

ثم أجهشت ببكاء حارّ ، ودموعها تنهمر فى غزارة ..

أمّا داخل السّيارة ، فقد ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغمغم :

— إلى اللقاء يا عزيزتى (سونيا) .. حاولى تقبُّل الأمر بروح رياضية هذه المرّة .

أما الشاب الأمريكى ، فقد هتف فى ارتياع :

— ماذا يحدث هنا ؟!.. أهو فيلم جديد من أفلام المغامرات ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— بل حقيقة يا سيِّدى ، ويؤسفنى أن تسبَّبت فى تورُّطكما فى تلك الأحداث .

هتفت الفتاة فجأة :

— على العكس .. لقد كان ذلك مثيرًا .

وتخلَّت عن جزعها ، وهى تستطرد فى انبهار :

— إنه أكثر ما تعرَّضت له فى حياتى إثارةً .

صاح الشاب فى غضب واستنكار :

— وماذا عن سيّارتى ؟.. إنها لم تعُد تصلح حتى للبيع

كسيّارة مستعملة ، على الرغم من أننى لم أنته من سداد أقساطها بعد !

مطَّت الفتاة شفتيها ، وهى تقول فى استنكار :

— هكذا أنت دوْمًا ، لا تقلقك إلّا شئون المال .

صاح فى غضب :

— أى شىء تريدين منّى أن أهتمّ به إذن ؟.. أليس المال هو ما جعلك ترافقيننى فى تلك الرحلة ؟

أشاحت بوجهها ، وهى تقول فى غضب :

— أنت وقح .. إننى أندم على مرافقتى لك .

قطع (أدهم) حديثهما ، وهو يقول مبتسمًا :

— مهلًا .. إننى أعتذر عن كل ما حدث ، وسأعوِّضك ثمن سيّارتك بالطبع .

ثم التقط من جيبه بطاقة أنيقة ، ناولها للشاب ، مستطردًا :

— خذ هذه البطاقة إلى الملحق العسكرىّ ، فى السفارة المصريّة ، واشرح له ما حدث ، وسينقدك ثمن سيارتك على الفور ، وبالعملة الأمريكية ، ودون أيّة أسئلة .

ألقى الشاب والفتاة نظرة متلهِّفة على البطاقة ، ثم رفعت الفتاة عينيها الزّرقاوين إلى (أدهم) ، تتأمّله فى شَغَف ، على حين غمغم الشاب فى ريبة :

ـــ ولكن بطاقتك لاتحوى سوى اسم ثنائىّ ، وباللغة العربية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ إنه سيكفى ، وستحصل على ثمن سيارتك .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى هدوء :

ـــ ثم إننى سأترك لك السيّارة أيضًا ، بعد أن أصل إلى مطار (واشنطن) ، و .....

سألته الفتاة بغتة فى شغف :

ـــ أأنت مصرىّ حقًا ؟

ابتسم ، وهو يجيب فى هدوء :

ـــ نعم .. مصرىّ أبًا عن جدّ .

سألته فى شغف :

ـــ ألا تحتاج إلى من ترافقك فى مغامرتك ؟

صاح بها الشاب فى غضب واستنكار :

ـــ (مادلين) !.. ماذا تقولين ؟.. هل جُننت ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يوقف سيّارته أمام مطار (واشنطن) ، قائلًا فى هدوء :

ـــ اطمئن يا سيّدى .. إن لى رفيقة بالفعل .

وصمت لحظة ، وهو يوقف محرّك السيّارة ، ويتأمّل خيبة الأمل ، التى ارتسمت على وجه الفتاة ، الذى ينعكس على مرآة السيّارة الأمامية ، ثم أردف فى عمق وعاطفة :

ـــ وأنا فى طريقى إليها .. الآن ..

* * *

« لقد أضعت فرصة ذهبية يا (أوكونور) .. فرصة لن يمكنك تعويضها أبدًا » ..

صرخت (سونيا) بهذه العبارة فى غضب وثورة وحنق ، فى وجه الجنرال (أوكونور) ، الذى عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدّة :

ـــ كفى يا سيّدتى .. إننى أكره أن يخاطبنى أحد على هذا النحو .

خشيت (سونيا) ، إزاء غضبه ، أن تدفعه إلى التخلّى عنها ، فأطبقت شفتيها ، وبذلت جهدًا ضخمًا للسيطرة على أعصابها ، على حين لوّح هو بذراعه ، وهو يستطرد فى غضب :

ـــ ألا تدركين ما كبّدنا إيّاه ذلك الشيطان من خسائر ، منذ أعلنّا الحرب عليه ؟.. لقد خسرت خمسة وخمسين رجلًا من رجالى المائة .

غمغمت فى ليونة :

ـ أنت جنرال رائع يا (أوكونور) ، ويمكنك تعويض من خسرت من رجال ، و .....

قاطعها فى ثورة :

ـ تعويضهم ؟!.. من الواضح أنك لاتدركين حقيقة الأمر .. لقد كان هذا يحدث فى الماضى ، وليس الآن .. لقد أنشأت هذه الوحدة منذ ما يزيد على الثلاثين عامًا ، ومنذ ذلك الحين كنت أحرص على إحالة الكهول إلى التقاعد ، والاستعاضة عنهم بفريق جديد من الصقور ، أنتقى أفراده فى دقة بالغة ، من وحدات الجيش المختلفة ، ومن الشباب الأقوياء الأذكياء ، أما الآن ، وبعد أن أعلنت الحرب على دولتى ، فمن المستحيل أن يسمحوا لى بالحصول على فريق جديد .

غمغمت محاولة استرضاءه :

ـ يمكنك إجبارهم على ذلك .

صاح فى غضب :

ـ كلا .. لا يمكننى ذلك على الرغم من سيطرتى عليهم ، فأبسط ما يمكنهم عمله هو أن يخفوا عنى عناصرهم الجيدة .

ثم فى خفوت :

ـ قاتل (أدهم) إذن بمن تبقى لك من رجال .

هتف فى سخرية مريرة :

ـ من تبقى ؟!

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى عصبية :

ـ إن حماية هذه القلعة تحتاج إلى ثلاثين رجلًا ، وهذا يعنى أن من سيتبقى معى لمقاتلته خمسة وعشرون رجلًا فحسب .

صمتت لحظات ، ثم قالت فجأة :

ـ ما رأيك فى التحالف مع حليف قوى ، يملك العشرات من الرجال ، وجيشًا من القتلة المحترفين ، ويبغض (أدهم صبرى) بغضًا شديدًا ، وفى الوقت ذاته يمكن شراء خدماته بالمال ؟

عقد حاجبيه ، وهو يسألها فى دهشة :

ـ من تقصدين ؟

أجابته فى بطء ، وهى تضغط كل حرف من حروف كلماتها :

ـ دون (كيرليونى) .. الأب الرّوحى لـ (المافيا) ، فى الولايات المتحدة الأمريكية .

اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يغمغم فى بطء :

ـ دون (كيرليونى) ؟!

هبّت من مقعدها ، وهى تقول فى حماس :

ــ يمكننى أن أضمن لك تعاونه .

عقد حاجبيه وهو يفكّر فى عرضها فى عمق ، ثم قال فى حزم :

ــ لا بأس .. إن القضاء على ذلك الشيطان المصرىّ يحتاج إلى تحالف قوى .

تألقت عيناها فى ظفر ، وهى تهتف فى انفعال :

ــ لن تندم على قرارك هذا يا جنرال (أوكونور) .. لن تندم أبدًا .

التقط سمّاعة هاتفه ، وهو يقول فى برود :

ــ ربمّا .. وفى الوقت ذاته ، سأحصل على معاونة حليف أكثر قوّة ، على الرغم من أنفه .

تطلّعت إليه فى حَيْرة ، على حين ضغط هو أزرار الهاتف فى انفعال ، فتابعت هى حركة أصابعه ، وهى تنتقل من رقم إلى آخر ، ثم ابتسمت فى شراسة ، وقد أدركت من يكون حليفه الجديد ، فقد كان ذلك الرقم مألوفًا لديها ..

كان رقم إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ..

* * *

١٠ ــ عودة الغائب ..

اقتحم الملازم (براون) حجرة (منى) بالمستشفى ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ يبدو أن الأمور ما زالت تسير لصالح زميلكما الرائع .

التفت إليه الدكتور (أحمد) و (منى) فى انفعال ، وهتفت (منى) :

ــ هل عثرت على جديد ؟

جلس على المقعد المجاور لفراشها ، وهو يقول فى حماس :

ــ نعم .. أحداث عديدة ، تدور كلها حول قلعة ذلك الوغد (أوكونور) ، ولكنها تشير إلى أن زميلكما ما زال على قيد الحياة ، وأن جنرال القرود هذا لم يظفر به بعد .

اعتدلت (منى) ، وهى تسأله فى لهفة :

ــ هيّا .. هاتِ ما لديك .

ازدرد لُعابه ، الذى شارف على الجفاف من شدّة انفعاله ، قبل أن يجيب :

— منذ خمس ساعات تقريبا . غادرت هليوكوبتر قلعة (أوكونور) ثم هوت فجأة ، وقفز منها رجل بمظلّة ، اشتبك مع طائرتى هليوكوبتر أخريين ، وأسقطهما ، ثم استقلّ سيّارة ، طاردتها هليوكوبتر رابعة ، وانتهى الأمر إلى تحطُّم الهليوكوبتر الجديدة أيضًا ، ومواصلة الرجل طريقه .

هتفت (منى) فى انفعال :

— إنه (أدهم) ولا شك .

وقبض الدكتور (أحمد) على ذراع (براون) فى قوّة ، وهو يسأله فى انفعال :

— كيف حصلت على تلك المعلومات ؟

ابتسم (براون) ، وهو يقول :

— لم يقتضِ الأمر منّى سوى محادثة هاتفية ، مع أحد زملائى فى (واشنطن) ، فانطلق يجمع المعلومات ، ويتحرّى الأمر ، حتى عثر على عدة شهود ، تجمّعت شهاداتهم ؛ لتمنحنا هذه الصورة .

هتفت (منى) :

— إنه (أدهم) .. أنا أعلم كيف يعمل ، لا يوجد مخلوق واحد يمكنه أن يفعل هذا سواه .

وارتجف صوتها ، وهى تستطرد فى انفعال :

— ولكن أين هو ؟.. أين ؟

تحوّل ارتجاف صوتها إلى انتفاضة قويّة ، شملت جسدها كله ، حينما أتى من باب الحجرة صوت هادئ يقول :

— هنا .

قفزت الدموع من عينيها ، وهى تلتفت إلى حيث يقف (أدهم) هادئًا ، مبتسمًا ، أنيقًا ، حليقًا ، وكأنما هو فى طريقه إلى حفل هادئ ، وهتفت فى حرارة :

— (أدهم) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

واندفع الدكتور (أحمد) يعانق شقيقه فى حرارة ، على حين تنهّد الملازم (براون) فى ارتياح ، وارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه ، وهو يسترخى فى مقعده ، كأنما قد أزاح عن كاهله ثِقلًا هائلًا ، وسار (أدهم) نحو (منى) ، والتقط كفّها اليُمنى فى راحته ، وضغطها فى رِفق وحنان ، وهو يغمغم فى عاطفة جيّاشة :

— كيف حالك يا عزيزتى ؟

احتضنت كفّه فى حبّ ، وهى تقول :

— فى خير حال ، ما دمت إلى جوارى يا (أدهم) .

ابتسم في حنان ، وهو يداعب أنفها في رِفق ، مغمغمًا :

— هل شُفِيَتْ ذراعك ؟

بلّلت الدموع وجنتيها ، وهي تومئ برأسها إيجابًا ، وترفع كفّها اليُسرى أمام وجهه ، وتحرّك أصابعها في بطء ، فرفع أصابع كفّه اليمنى نحو كفّها ، وتشابكت أصابعهما ، في مشهد عاطفيّ رائع ، سالت له الدموع من عيني الدكتور (أحمد) ، قبل أن يلتفت إليه (أدهم) ، مغمغمًا في امتنان :

— كيف يمكنني أن أشكرك يا شقيقي العزيز ؟

ابتسم الدكتور (أحمد) ، مغمغمًا في عاطفة :

— وهل يدين الشقيق لشقيقه بالشكر ، مهما فعل من أجله ؟

شعر الملازم (براون) برغبته في مشاركتهما دموعهما ، ولم يجد وسيلة لمقاومة ذلك ، أفضل من أن ينهض من مقعده ، ويسأل (أدهم) :

— اشرح لنا ماذا فعلت منذ افترقنا يا صديقي .

ابتسم (أدهم) ، وجلس على طرف فراش (منى) ، وهو ما زال يحتضن كفّها اليسرى في راحته اليمنى ، وراح يقصّ عليهم ما حدث بالتفصيل ، حتى انتهى من روايته ، فهتف الملازم (براون) في انبهار :

— أفعلت كل هذا وحدك ؟!.. يا لك من رجل !!..

تنهّد (أدهم) ، وترك كفّ (منى) ، وهو ينهض قائلًا :

— إن تطوّر الأحداث يؤكّد ضرورة اتخاذ خطوة هامّة .

سألته (منى) في حماس :

— ما هي ؟

تجاهل إجابة سؤالها مؤقتًا ، وهو يقول :

— لقد اقتحمت (سونيا جراهام) الأحداث ، ونحن نعلم كم هي بالغة الخطورة ، ثم إنها تعلم أن (منى) و (أحمد) هما نقطتا ضعفي الوحيدتين ؛ لذا .....

صمت لحظة ، قبل أن يستطرد في حزم :

— ينبغي أن يغادر (أحمد) و (منى) الولايات المتحدة الأمريكية على الفور ، وبلا إبطاء .

أومأ الدكتور (أحمد) برأسه متفهّمًا ، على حين هتفت (منى) في استنكار :

— مستحيل !! لن أتركك وحدك هنا .

صاح بها في صرامة :

— هذا أمر .

هتفت في حنق :

ـ يمكنك أن تتناسى الأوامر الآن . فأنت تعلم أننا لا نؤدّى مهمّة رسميّة ، وهذا يلغى فارق الرتب بيننا .

أطرق برأسه لحظة ، ثم اتجه نحوها فى هدوء ، واحتوى كفّيها فى راحتيه ، وتطلّع إلى عينيها فى حنان ، وهو يغمغم :

ـ صدّقينى يا (منى) .. هذا لصالحى ... لصالحنا جميعًا .

عادت الدموع تسيل من عينيها ، وهى تغمغم :

ـ لا يمكننى أن أتركك وحدك .

أجابها فى حنان ، يحمل رنّة صارمة حازمة :

ـ لا بديل من هذا يا (منى) .

قالت فى مرارة .

ـ ولِمَ لا نرحل جميعًا ؟.. لقد تأكّدت من أن رجال المخابرات الأمريكية أيضًا يخُونُونك ، فلماذا تبقى وتقاتل الجميع ؟

أجابها فى حزم :

ـ لأننى لم أعتد الانسحاب من أيّة معركة أبدًا يا (منى) .

هتفت فى حَنَق :

ـ ولكنها ليست معركتنا !

أجاب فى صرامة :

ـ إنها معركتى .

ثم التفت إلى (براون) ، مستطردًا فى لهجة آمرة صارمة حازمة :

ـ خُذهما إلى المطار على الفوْر يا (براون) ، وستجد هناك تذكرتين باسميهما ، ومقعدين على الطائرة المتجهة إلى (القاهرة) ، بعد ساعة واحدة .

أرادت (منى) أن تعترض ، إلا أنها لم تملك سوى أن تجْهَش بالبكاء ، فقال لها (أدهم) فى صرامة :

ـ لا ينبغى أبدًا أن يبكى أحد أفراد المخابرات المصرية أيتها النقيب .

لم تستطع منع نفسها من مواصلة البكاء ، على حين وضع الدكتور (أحمد) يده على كتف شقيقه ، وهو يغمغم :

ـ إننى أفهم موقفك ، وأقدّره يا شقيقى العزيز ، وكل ما أدعو الله (سبحانه وتعالى) من أجله ، هو أن ألتقى بك مرّة أخرى ، فى هذه الدنيا .

أشاح (أدهم) بوجهه ، ليخفى عاطفته الجيّاشة ، وهو يغمغم :

— اذهب يا (أحمد) .. لقد اقترب موعد الطائرة .

تناول الملازم (براون) سلسلة مفاتيحه ، وناولها إلى (أدهم) ، وهو يقول :

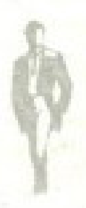
— اذهب إلى منزلى أيها الصديق .. سأطمئن على رحيل الطائرة فى سلام ، ثم ألحق بك هناك .. إنك تحتاج إلى قدر من الراحة ، قبل أن تبدأ جولتك القادمة .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

— شكرًا أيها الصديق .. سأنتظرك هناك .

كان يشعر بالحاجة إلى الراحة حقًا ، قبل بدء جولته الأخرى ، ولكنه لم يكن يدرك أبدًا عنف تلك الجولة وخطورتها ، ولا أنه سيواجه كل أباطرة الشرّ فى (أمريكا) .. كلهم دفعة واحدة ..

* * *



١١ — تحالف الشر ..

التقط (توماس ألبى) ، مدير المخابرات المركزية الأمريكية ، سمّاعة هاتفه الخاص ، إثر رنينه المتواصل ، ووضعها على أذنه ، وهو يسأل فى هدوء :

— من المتحدّث ؟

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يستمع إلى صوت محدّثه الغاضب ، ثم غمغم فى ارتباك :

— نحن نعمل ضدّك ؟!.. من وضع تلك الفكرة فى رأسك يا (أوكونور) ؟

اندفع سيل من العبارات الغاضبة إلى أذنيه ، عبْر أسلاك الهاتف ، فغمغم فى اضطراب :

— إننى أعرف (أدهم صبرى) بالطبع ، ولكنه رجل مخابرات مصرىّ ، ولا شأن لنا بـ .....

قاطعه سيل آخر من العبارات الغاضبة ، فتمتم فى ارتياع :

— ولكن يا (أوكونور) ..

مرّة أخرى قاطعه (أوكونور) .. في حزم ، فزفر في عمق ، وأجاب في خفوت :

ـ حسنًا يا (أوكونور) .. حسنًا .. سنفعل .

ثم وضع سمّاعة الهاتف ، والتفت إلى مساعده (بيرت) ، مغمغمًا في حنق :

ـ لقد كشف (أوكونور) ، بوسيلة ما ، تعاون (أدهم صبري) معنا ، وهو يطالبنا بقتله ، وتسليم جثته إليه ، وإلا فسيطلق الصواريخ ، ذات الرءوس النوويّة ، نحو (موسكو) .

هتف (بيرت) في توتّر :

ـ وماذا سنفعل يا سيّدي ؟

زفر (توماس) مرّة أخرى في عمق ، ثم أجاب في سخط :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟.. إن العالم لن يحتمل حربًا نوويّة بيننا وبين السوفيت أبدًا ، ثم إن (أدهم صبري) قد فقد فاعليته ، بعد أن كشف (أوكونور) أمره .

غمغم (بيرت) في تحفّز :

ـ هل تعني يا سيّدي .....؟

قاطعه (توماس) في حزم :

ـ نعم يا (بيرت) .. لم يعد لدينا الخيار .. سننفّذ خطّتنا الاحتياطية قبل الأوان .

وأشاح بوجهه ، وهو يستطرد في صرامة :

ـ أطلق كل رجالنا ، الذين يحملون ترخيصًا بالقتل ، خلف (أدهم صبري) .

* * *

ارتفع حاجبا دون (كيرليوني) ، الأب الروحي لمنظمة (المافيا) الأمريكية ، في افتتان ، وهو ينهض من خلف مكتبه الضخم ؛ لاستقبال (سونيا جراهام) ، هاتفًا في ترحاب :

ـ كيف حالك يا عزيزتي (سونيا) ؟.. إننا لم نلتقِ منذ زمن طويل ، وأراك قد ازددت فتنة وإغراءً .

تركته (سونيا) ينحني ، ويقبّل أناملها في حرارة ، ثم ابتسمت ، وهي تقول في دلال :

ـ إنني أنشد تعاونك معي يا دون (كيرليوني) .

اعتدل وهو يهتف في حرارة :

ـ دون (كيرليوني) ومنظّمته كلها رهن إشارتك يا عزيزتي (سونيا) .

ضغطت حروف كلماتها ، وهي تقول في بطء :

ـ إنني أنشد تعاونك ؛ للقضاء على (أدهم صبري) .

ارتفع حاجبا دون (كيرليوني) في دهشة . ثم عاد

بعقدهما ، وهو يتجه نحو مكتبه الضخم ، ويستقرّ خلفه ، قائلًا :

ــ ولكن (أدهم صبرى) لم يعُد خصمًا لنا يا عزيزتى (سونيا) ، منذ أصدرت دونا (كارولينا) ، الزعيمة الكبرى لكل منظمات (المافيا) فى العالَم ، أوامرها بوقف القتال معه ، بعد أن التقى بها فى (روما)(*) .

هتفت فى سُخْط :

ــ هل أوقعها فى حبائله ؟

مطَّ شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، دون أن ينبس ببنت شَفَة ، فعقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول فى حِدَّة :

ــ وهل تسرى أوامرها على الجميع ؟

أجابها فى صرامة :

ــ هكذا تسير (المافيا) منذ منشئها ، وهذا هو سرّ نجاحها وبقائها .

قالت فى عصبيَّة :

ــ حتى لو دفعت لك عشرة ملايين دولار ، مقابل التخلُّص من (أدهم صبرى)؟

(*) راجع قصة (دونا كارولينا) .. المغامرة رقم (٦٠).

تردَّد لحظة ، ثم غمغم :

ــ لى أنا ، أم للمنظَّمة ؟

ابتسمت ، وقد أدركت دُنوَّها من الهدف ، وأجابت :

ــ لك أنت بالطبع .. ما صلتى بالمنظمة ؟

نهض من خلف مكتبه ، وعقد حاجبيه ، وشبَّك كفَّيْه خلف ظهره ، وهو يسير حولها فى بطء ، قبل أنْ يقول فى حَذَر :

ــ أنت تعلمين بالطبع أننى أملك حسابًا سريًا خاصًا ، فى بنوك (سويسرا) .. أليس كذلك ؟

غمغمت ، وهى تشعل سيجارتها فى هدوء :

ــ بالتأكيد .. هل تحب أن نضيف إليه المبلغ ؟

التفت إليها فى حركة حادَّة ، وهو يقول فى شراهة :

ــ نعم .. وقبل التنفيذ .

نفثت دُخَان سيجارتها ، ونهضت وهى تبتسم قائلة :

ــ لك هذا .

ثم أردفت وهى ترمقه بنظرة مُغْرِيَة :

ــ على أن تضمن لى التنفيذ .

انحنى يقبِّل أناملها مرَّة أخرى ، وهو يقول فى ثقة :

ـ يمكنك حجز باقة ورد ، لوضعها على قبر ذلك الشيطان المصرىّ .

تألقت عيناها فى جذل وشراسة ، بعد أن أيقنت من ضمّ ذلك الحليف القوىّ إلى صفّها ..

وبدأت الجولة الجديدة فى الصّراع ..

جولة يخوضها (أدهم صبرى) وحده ..

ضد كل (أباطرة الشرّ) ..

كلهم ..

* * *

[انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث]

(أباطــرة الشــرّ)

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٦٩

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

أجنحة الانتقام

- ترى.. أي مصير ينتظر (أدهم صبري)، في قلعة (صقور أوكونور) ؟
- من هو خصم (أدهم) اللدود، الذي أرسل الجنرال (أوكونور) يستدعيه على عجل ؟
- أينجح (أدهم صبري) في التصدي لـ (صقور أوكونور) هذه المرة، أم يأتيه الموت على (أجنحة الانتقام) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل)..



العدد القادم : أباطرة الشر